حكمة يمانية
HEKMAH YEMANYA

أشتات

د. يحيى أحمد المرهبي

التَّعصب الطائفي

مقاربة في التشخيص والعلاج

نشر بتاريخ 2022/02/23-01/20
رابط السلسلة

hekmahyemanya.com @HekmahYemany حكمة يمانية

التعصب الطائفي ... مقاربة في التشخيص والعلاج (١)

تمهيد:

تتعدد التسميات التي تطلق على الإنسان، فمرة يقال له كائن أخلاقي، ومرة يقال عنه كائن ناطق، ومرة يقال عنه كائن اجتماعي، ومن بين هذه التسميات التي تطلق عليه، قولهم أنه كائن تاريخي، فهو منغمس في التاريخ ومستبطن له، وبمعنى آخر، يعتبر التاريخ بالنسبة للإنسان هو الوسط الذي يعيش فيه، وبالمقابل يعيش التاريخ بداخل هذا الإنسان، فالإنسان بداخل التاريخ، والتاريخ بداخل الإنسان، وهي معادلة معقدة تؤثر في الإنسان وتتأثر به، فالتاريخ يصنع الإنسان، والإنسان يصنع التاريخ، ولهذا فنحن كائنات تاريخية، هذه هي الحقيقة التي ينبغي أن نتعمق في فهمها إلى أبعد الحدود الممكنة. كل شيء في وجودنا متعلق بها، وكل حركة من حركاتنا تعبير عنها. التاريخ هو الوسيط الأكبر بين وجودنا الشخصي ووجودنا الطبيعي.

إذن دراسة الوضعية التاريخية مهمة سابقة على دراسة الوضعية الفردية. إن المعالجة الصحيحة للمشكلات المصيرية التي نواجهها تنطلق من مستوى (المجتمع)، لا من مستوى (الفرد أو الجماعة)، إذ إن حركة المجتمع هي التي تعيّن قيمة وجود الأفراد والجماعات، وتحدد موضع المشاركة في التاريخ ومعناها. فإذا كنا نريد السيطرة على مصيرنا التاريخي،

يتوجب علينا أن ننظر إلى أنفسنا من زاوية المجتمع والوضعية التاريخية الطبيعية التي هي جزء منها.

وقد حدد القرآن الكريم عملية التغيير في آية فاصلة، هي قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) {الرعد: ١١}، والملاحظ في جزء الآية الذي أوردناه، أنه اشتمل على ثلاثة ألفاظ، كلها تؤكد على فعل مجتمعي وليس فردي (قوم، يغيروا، أنفسهم)، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن عملية التغيير ليست مرتبطة بالفرد كفرد ، بل هي مرتبطة بالمجتمع كمجتمع، يفرض منظومته على أفراده، وحتى على جماعاته الصغيرة، وأن النظرة التي كانت .ولا زالت. سائدة، عن أن التغيير يبدأ من الفرد، ثم الأسرة، ثم المجتمع، ثم الأمة،[1] ثم العالم بأسره، تحتاج إلى أن يعاد النظر فيها، في ضوء التوجيه القرآني الذي ساقته هذه الآية من كون عملية التغيير هي عملية مجتمعية وليست فردية، وإن النظر إليها (أي عملية التغيير) على أنها فردية هي نظرة قاصرة، لا تدرك ما يحدثه المجتمع في الفرد، وأن الوسط الذي يعيش فيه الفرد هو الذي يقوم بتشكيله، وهذا لا يعني أننا نزع عن الفرد ذاتيته واستقلاله، فهذا غير وارد، ولكننا هنا نحب أن نؤكد على الدور الكبير الذي يقوم به المجتمع حيال أفراده، فيصنع منهم ما يبني الحاضر والمستقبل أو يهدمه.

لقد قضى على الشرق (الأمة العربية والإسلامية) جهل عامته، واستبداد خاصته، وخيانة زعمائه، وتعصب رؤسائه، كما يشير إلى ذلك أديب إسحاق، وهذه الرباعية (الجهل، والاستبداد، والخيانة، والتعصب) جنت على أمة الإسلام أيما جناية، وكان للتعصب بكل أنواعه نصيب الأسد، فقد أعاد نبش الماضي (التاريخ)، وأوسع له في الحاضر ويعمل على ترسيخ مداميكه في المستقبل، وعلى الرغم من كوننا في عصر الانفتاح إلى أن التعصب الطائفي قد أغلق الأبواب والنوافذ، جاعلا كل جماعة أو حزب أو طائفة (جيتو) منفصل عن الآخرين، ورغم أننا أيضا في عصر الاتصال والتواصل، إلا أن التعصب الطائفي قطع كل الأواصر، وجفف كل منابع العيش المشترك، وطبق قاعدة (إن لم تكن معي فأنت ضدي).

إنها جاهلية حديثة لبست ثوبت الطائفية، ولكن مضامينها ذات أصول قديمة، فالقرآن الكريم عندما تحدث عن الجاهلية أوردها أربع مرات، وأضيفت لفظة الجاهلية في القرآن إلى أربع كلمات:

١-(ظَنَّ الجاهلية)، كما في قوله تعالى: (يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ) {آل عمران: ١٥٤}.

٢-(حُكْمَ الجاهلية)، كما في قوله تعالى: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) {المائدة: ٥٠}.

٣-(تَبَرُّجَ الجاهلية)، كما في قوله تعالى: (وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) {الأحزاب: ٣٣}.

٤- (حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّة). كما في قوله تعالى: (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ) {الفتح: ٢٦}

فالأول: فساد الأمة بسبب فساد النفوس (ظن الجاهلية).

والثاني: فساد الأمة بسبب فساد الحُكم (حكم الجاهلية).

والثالث: فساد الأمة بسبب فساد الأخلاق (تبرج الجاهلية).

والرابع: فساد الأمة بسبب القبلية والطائفية والتعصب لهما (حميَّة الجاهلية).

وهذه الصور الأربع من صور الجاهلية ما اجتمعت. كلها أو بعضها. وما استفحلت في أمة إلا أدَّت إلى ذلها وهلاكها، وما نشاهده في بعض أقطارنا العربية والإسلامية يشد على ذلك دون مواربة.

إن التعصب الطائفي وليد إحساس بالكبرياء الفكري المتخيل، والاقتناع الزائف، بعدم الحاجة إلى ثقافة الآخرين وعلومهم ونمط عيشهم. ومن المعلوم في التاريخ الثقافي أن

التعصب يؤدي إلى الفقر الفكري والجدب الروحي، بينما يثمر الانفتاح والتسامح ثراء فكريا وروحيا. ومن يمعن النظر في كم الأحداث والوقائع وفي كيفيتها أيضا، سيجد الشباب ضالعين في أغلب ما يجري، أو أنهم في قلب المشهد، مؤثرين ومتأثرين. فالتباغض والاحتقان الطائفي قد يثيره الطاعنون في السن أحيانا، لكن الشباب هم من يترجمونه إلى عنف مادي. وكثيرا من الصراعات التي يتأجج أوارها في (البؤر الساخنة) كافة على سطح الأرض، تذكيها سواعد الشباب، لأنهم ببساطة هم المجندون في الجيوش النظامية والمنخرطون في حركات المقاومة والمكونون للجسم الرئيسي في التنظيمات والجماعات والأحزاب، أيا كانت بواعث هذه الكيانات ومقاصدها.

وفي خضم هذه الأجواء المشحونة بالتعصب الطائفي، يكون الإنسان غير المتسامح هو إنسان عاجز عن النقاش، يفكر ويتكلم بمفرده، دون أي حوار. ومن المعتاد جدا أن يصل غير المتسامح إلى أكثر أشكاله حدة وهو التعصب. لأنه يجعلنا نرى الحياة من منظور اختيارات (أما...أو)، ويمكن القول بكل تأكيد أن غير المتسامح، وبدرجة منه المتعصب، دائما ما تحركه أحكام مسبقة سلبية أكثر منها شيء آخر. إنه دائم الاستعداد للحكم على الأشخاص والأشياء، ولكي يحكم عليها فإنه نادرا ما يستخدم مصطلحات مثل "تقريبا" أو " نوعا ما"، وهو معتاد على التعميم، ولا يفعل شيئا آخر سوى تقسيم العالم إلى "حق" و"باطل". ولديه إحساس بصواب ما لديه، وبطلان ما لدى غيره بشكل لا يحيد عنه. نحن ندرك ذلك من طريقة كلام هؤلاء، وإيماءاتهم ومن شكل هيئتهم، قال تعالى: (وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ) {محمد: ٣٠}. والله من وراء القصد.

مدخل:

تتراوح الكتابات حول الطائفية والتعصب الطائفي، في أغلبها، بين التوجيه الأخلاقي والبحث الموضوعي، إلا أن المتابع قلما يجد نصوصا مقاربة للواقع، بعيدا عن التنظير المترف أو الاسفاف التوجيهي في الإرشادات الجامعة، أو الدعوات الفئوية الصارخة، أو الاستنصار للذات. وأن تكتب .كباحث .عن التعصب الطائفي بكل تنوعاته وأشكاله، يعني أن تقتحم

HEKMAH YEMANYA

منطقة وعرة ومحفوفة بمخاطر بعضها محسوب ومنظور، وبعضها لا يعلمه إلا الله، وخصوصا في مجتمع يتظاهر أنه بريء من هذا النسق، فيما هو محكوم به وأغلب ممارساته وعلاقاته وطقوسه وأشكال تواصله محكومة به.

والمقال الذي بين يديك . عزيزي القارئ . مجرد مساهمة متواضعة لمناقشة مسألة لا تفتأ تقضّ مضجع الجميع، ساسة ومفكرين، علماء وأحزابا، مواطنين ومسؤولين، حكاما ومحكومين، مسألة تاريخية وحديثة في آن واحد، قديمها مجرور بتصورات مختلف عليها عند كل طائفة، ومصبوغة بما يرضي أهل كل طائفة كانتصارات يتغنون بها، أو كهزائم يتعزون بها. وحديثها مشحون بالتظالم والمرارات والاصطفافات التي تتوالد ولا تنتهي داخل الهويات وداخل فروعها، مما يزيد من حدة الصراعات بين الهويات والدول، وبين الهويات تجاه بعضها. (١).

ويعتبر هذا المقال رؤية تحاول تشخيص الأسباب والجذور، ومن ثم تسعى لتقديم بعض اللقطات والجرعات التي ربما تفيد في المعالجة. لا تدعي الكمال ولكنها تسير نحوه. ولا تنحبس بقيود الواقع وإنما تعمل على تفهمه، ولا تبحر في التنظير وإنما تستخدم بعض مجاديفه. هي طرقات على جوانب الصندوق المغلق لعله يتفكك كي يعاد تجميعه بحلة جديدة.

وكان حالي كحال أي كاتب يحاول الإنصاف ما استطاع إليه سبيلا، ولكن تبقى لنفسه وقناعاته ملمس وتأثير بشكل مباشر أو بشكل عفوي. لذا فإنه لا يمكنني التيقن الكلي بموضوعية الدراسة المطلقة، ولا يمكنني أيضا اتهام نفسي بعدم الموضوعية المطلقة، لأن الموضوعية أمر نسبي عند كل كاتب وباحث، ناهيك عن دور وتأثير زاوية النظر للموضوعية في تحديد وجودها ونسبتها من المتلقي. فلكل متلق معاييره للموضوعية، وفي قضية كالطائفية، تصبح المعايير أكثر حساسية، بل التحسس فيها مرهف لحد قد يصل إلى اتهام المرء لغيره بعدم الموضوعية، في حين العكس هو الصحيح. (٢)

ولو نظرنا في أنفسنا بتريُّث وتمعُّن وصِدق، لألْفينا الطائفية والعنصرية جزءًا لا يَتَجَزَّأ مِن تكويننا، بل ومِن تكوين كل نفس بشرية، وحتى في الدول التي تزعم التقدُّم والمساواة، فإن العنصرية فيها لا تُمحى إلا بتقويم النفس البشرية، وليس ثمة مقوم أفضل من الإسلام وتعاليمه، وما كان منَ الكامل فهو كاملٌ.

والإنسان قد تعود على أن يتعامل مع المتغيرات وفق خلفيته الفكرية والسياسية والتراثية بمقدار تحكمها فيه، فهو إما أن يتطرف في تبني المتغيرات غير مكترث بما سيأتي بعدها، أو يتطرف في رفض المتغيرات والتمسك بالحالة السابقة، والحالتان قد تعبران عن عجز في مواجهة المتغيرات ومعالجة الإشكالات الجديدة، فتبقى القضايا المسكوت عنها تدور في حلقات مفرغة تبحث عن مخرج لها، والطائفية واحدة منها.

ولا مكان للعقل والحكمة عندما يهيمن التعصب والاحتقار الطائفي على أي ساحة، بل لا آذان تصغي لهما، هذا ما أكدته صفحات التاريخ عبر الحضارات التي سادت ثم بادت، في الغرب أو الشرق، كالصراعات بين المذاهب المسيحية في أوروبا والغرب، والصراعات بين المذاهب الإسلامية في الشرق العربي والإسلامي، وأكدت أيضا أنه لم تبلغ أي طائفة، على مدار التاريخ، نصرا نهائيا بحيث تندثر معه الطائفة الأخرى. (٣).

على سبيل التعريف:

في اللغة العربية، مصطلح (طائفة) تعني جماعة، قد تكون من الأشخاص أو من الأشياء. والطائفي هو المنسوب إلى طائفة. وقد جاء في الحديث الشريف: (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لعدوهم قاهرين...) (رواه الإمام أحمد في مسنده). لكن الطائفة في المصطلح الاجتماعي السياسي تعني الالتزام أو الانتماء، وتعني في نفس الوقت التشدد في هذا الانتماء أو التعصب له أو الانحياز عموما، باعتبار أن روح الجماعة لا تقوم إلا على التعصب، أو لنقل الحماسة في الحد الأدنى.

ولا يحمل لفظ الطائفة في غالبية آيات القرآن الكريم بدايةً معانيَ سلبيةً أو إيجابيةً فهو مصطلح وصفي وليس مفهومًا معياريًا، فيمكن أن تكون الطائفة بالمصطلحات القرآنية باغية، أو مؤمنة. ويرد في القرآن الكريم ذكر طائفتين من المؤمنين تقتتلان، "وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ"الحجرات: ٩. والطائفة هنا جزء لا يتجزأ من الجماعة التي تقوم في الأساس على وشائج أخوية عقائدية أو دينية. وهذا الاشتقاق لا يعني إضفاء مسحة سلبية على الطائفة

المعنية أو اتهام جماعة ما بما هو معيب وقبيح، وإنما هو توصيف وتأكيد على الارتباط الطبيعي لأفراد جماعة ما، ضمن دائرة مشتركة ما، كالجنس والدين والمذهب واللغة والعرق. ولأن المفردة اللغوية تتأثر سلبا بمقدار التلاعب السياسي فيها، فقد تأثرت مفردة الطائفة التي قد تحمل المعنى الإيجابي والمعنى السلبي، فصارت مفردة لازمة على الجانب السلبي، فلا تطلق في الفضاء العام إلا ويراد بها الجانب السلبي، ويستقبلها المتلقي على هذا الأساس، فصرنا نسمع عن الفرز الطائفي، والحروب الطائفية، الاحتقان الطائفي، ... إلخ.

والطائفية، ابتداء، بنية شعورية. اعتقادية لدى جماعة من المنتسبين إلى ملة ما، المعتنقين لتعاليمها العامة، ممن يتحدر لهم اعتقاد أو يتكون بكيانية اعتقادية خاصة ومتميزة من الجماعات الأخرى التي تشاركها الانتماء للدين. وهي بهذا المعنى، تمثل انشقاقا ثقافيا عقديا داخل إطار الجماعة الدينية الكبرى، غالبا ما تبرره بزعم أنها الجماعة الأشد تمثيلا، التمثيل الأمين للدين الذي تعتنقه، وهي بمعنى ثان، بنية ذهنية عصبوية لأن مبناها على فكرة أن الطائفية هي ابتداء رابطة روحية تولد تضامنات أو علاقات تضامنية بين من ينتسبون إليها.

وينتج عن رسوخ هذه البنية الاعتقادية الشعورية نتيجتان مترابطتان:

أولاهما: أن ادعاء أية طائفة التمثيل الصحيح والقويم للدين يؤسس في وعيها وفي لا وعيها، أنها وحدها تختار الحقيقة، وأن غيرها على باطل (ضال، أو منحرف، أو مبتدع، أو ربما

كافر). ومن هنا جاءت فكرة (الفرقة الناجية) في الإسلام، التي تصارعت الفرق على ادعاء أنها تلك الفرقة من دون سواها، وما برحت. حتى اليوم. تزعم لنفسها الشيء نفسه.

وثانيهما: أن أية طائفة، للأسباب التي ذكرنا من عصبية ووهم بتمثيل الدين الصحيح، تتحول. حكما. إلى كيان مغلق، وتعيد إنتاج ثقافتها وعقائدها وأساطيرها، داخل ذلك الكيان المغلق، الأمر الذي يترتب عنه انغلاق وانسداد وتحجر عقلها الجمعي: في رؤيتها إلى ذاتها، وفي رؤيتها للعالم من حولها. وهذا من جملة الأسباب لنزوعها الانكماشي، في المحيط المجتمعي والسياسي الجامع، وميلها إلى التصرف كأقلية مهددة من الآخرين! (٤).

أما المذهبية فليست إلا الصورة، والبنية المصغرة، والوليد غير الشرعي للطائفية. إنها انشقاق داخل الانشقاق، وتذرر (تفتت) داخل بنية متذررة أصلا، فهي تتولد في الذهاب بعيدا في البحث عن عوامل التمايز، وعن الفواصل الدقيقة التي تفصل وتعزل سعيا وراء ماهيات أكثر صفاء ونقاء! إنها لا تختلف في النوع عن الطائفية، فللاثنين الديناميات الانقسامية عينها، تختلف في الكم فقط، وإن كان الاختلاف فيه من آثار الدينامية الانقسامية ومفاعليها. (٥).

ماهيات أكثر صفاء ونقاء! إنها لا تختلف في النوع عن الطائفية، فللاثنين الديناميات الانقسامية عينها، تختلف في الكم فقط، وإن كان الاختلاف فيه من آثار الدينامية الانقسامية ومفاعليها. (٥).

والطائفية في شقها التعصبي، نوع من الانغلاق والانعزال الشعوري والوجداني لأفراد ملة ما يعيشون في المجتمع، وتجمعهم صور من الانتماء إلى هويات فرعية، مثل: الانتماء إلى العشيرة، أو الحزب، أو الجماعة، أو المذهب على حساب الانتماء إلى الأمة.

والطائفة في مستوى أول منها، رابطة ثقافية. عقدية. روحية، تتأسس على الاعتقاد بانتماء جماعة إلى فكرة دينية، أو مذهبية واحدة تصهر أفرادها جميعا في بنية جمعية واحدة، وتميزهم عن غيرهم من الجماعات الملتئمة على فكرة روحية مخالفة. على حدود هذا الشعور بالذاتية والتمايز ميَّز النسطوري نفسه من اليعقوبي، وميز المعتزلي نفسه عن الأشعري والماتريدي، ويميز السني نفسه. اليوم كما أمس. عن الشيعي والإباضي والزيدي، مثلما يميز البروتستانتي نفسه عن الكاثوليكي والأرثوذوكسي، والمسيحي نفسه . عموما . عن المسلم،

وبالعكس. (٦).

والطائفية ظاهرة تاريخية، اجتماعية، ذات نتائج سياسية. كون الطائفية ظاهرة تاريخية يعني أنها نشأت في زمان وفي ظروف وشروط معينة من الوعي والنشاط الإنسانيين، وأنها سارت في التاريخ وليست ضده. لكن الأمر المهم أنها ليست جوهريا، لا يحول ولا يزول، بل ظاهرة تتغير وتتبدل وفق الظروف التاريخية، أما أنها ظاهرة اجتماعية، فهي تتكون من شروط اجتماعية من عناصر التفاعل الاجتماعي الاقتصادية والثقافية، وهي محكومة أولا وأخيرا بهذه الشروط. والطائفية كما العنصرية، كما المذهبية، كما صراع العقائد والأيديولوجيات، عرفتها معظم المجتمعات في مراحل تاريخية معينة، في الشرق الأسيوي، وفي أوروبا، وفي أمريكا. تشترك هذه المجتمعات في عمومية الظاهرة، وتختلف في تحديد عناصرها حتى داخل المجتمعات الواسعة. (٧). وعمومًا، ثمّة تشابه كبير بين العنصريّة والطائفية، ولا سيّما إذا عرّفنا العنصريّة تعريفًا ثقافيًّا. الفرق الرئيس هو أنّه يمكن للإنسان نظريًّا، أن يغيّر طائفته، ولكن ليس بإمكانه أن يغيّر عرقه. ومع ذلك، تعدّ العنصريّة في الحالتين تركيبًا اجتماعيًا لتكريس الاختلاف وجعله أساسًا لبناء السياسات والتمييز بين البشر على أساس هذه الفوارق المركبة اجتماعيًّا، وهذا ينطبق على الطائفية أيضًا. (٨).

البشر على أساس هذه الفوارق المركبة اجتماعيًّا، وهذا ينطبق على الطائفية أيضًا. (٨).

ويمكن تعريف الطائفية تعريفا تصاعديا متعددا، من حيث هي ظاهرة مركبة من تكوينات ومستويات متعددة، بما هي ظاهرة ثقافية . أيديولوجية ابتداء، وظاهرة اجتماعية . اقتصادية تاليا، ثم بما هي ظاهرة سياسية أخيرا. وليست المستويات الثلاثة هذه منفصلة عن بعضها البعض، ولا هي متعاقبة في الزمان، بل إن أشكالا من التداخل بينها، والتزامن، تفرض نفسها على القارئ فيها، وعلى نحو قد يتعسر معه . أحيانا . رؤية بعد واحد منها بمعزل عن غيره من الأبعاد. (٩).

وتتشكل الطائفية حول فكرة، وتتحول الفكرة إلى مشروع، أي إلى هوية لجماعة، وتتشكل الجماعة على اتفاق جملة عناصر تأخذ من المشتركات السابقة، وأهمها عنصر القرابة النسبية، ثم تتوسع بقرابة المصاهرة والمناصرة والولاء، ومن بعد عبر الالتحام الأيديولوجي. وحينها تتحول الأفكار إلى قوة مادية، حين تكسب ثقة وولاء الجماعة. وتقوم علاقة جدلية

وفق ظروف خاصة بين المصالح الواقعية المادية لهذه الجماعة ووعيها وتصوراتها عن تلك المصالح العامة. (١٠).

والطائفية نسق، وهو نسق شرير وخبيث في صورته التعصبية، وإن لهذا النسق تاريخا وذاكرة وسيرة، وهو في سيرته كثير التحول والتقلب، فيغيب ويحضر، ويستتر ويتجلى، وهو في كل مرة يغير هيئته ويكشف عن وجه جديد مختلف، ولكنه يبقى محتفظا بوجوده وحقيقته في كل هيئة وفي كل وجه. إلا أنه في ذلك يكشف عن حقيقة أنه ينشط مدفوعا بطبائع الاستئثار والاستملاك (١١). وما يتغير هو الموضوع الذي ينشط بغاية استملاكه. والنسق هنا شرير بطبعه . كما أسلفنا. فإذا ما استثير فلا سبيل إلى وقف طمعه وشهوة التملك لديه، وكذا طموحاته الأنانية في مراكمة ملكياته لأكبر عدد ممكن من الميادين العامة، مما يخلق انطباعا بأن الميادين كلها أصبحت تحت نفوذه، ومن ثم يشعر أصحاب النسق (الطائفيون المتعصبون) بأن الميدان أصبح مكانهم الأليف، وبأن لهم حق التصرف فيه بالطريقة التي يرونها، وفي المقابل يشعر الآخرون بالغربة وكأن المكان ليس مكانهم، فيكون دخولهم فيه كدخول الضيف الغريب أو الطفيلي غير المرغوب فيه. يقول الدكتور رشيد الخيون: "ولا يليق بالطائفية من تسمية غير أنها أم الخبائث". (١٢). وهو هنا يشير إلى الطائفية التعصبية في أسوأ حالاتها.

التعصب الطائفي ... مقاربة في التشخيص والعلاج (٢)
الفكروالسلوك الطائفي:

إن أهم ركائز القبول بالاستبداد والتبعية هي هدر الفكر والوعي والطاقات، والطائفيون المتعصبون من كل الملل والنحل، والمتباهون بتفوقهم وثقافتهم، هم كائنات مهدورة متوهمة مشوشة، العقل عندها موظف تلقائي، الكرامة مذيلة بقيمة الولاء الطائفي، والحرية هي في القدرة على الاعتداء الدائم على الخصوم الطائفيين، بكل مفردات اللغة الاتهامية والعنصرية الساقطة. والطائفية تعمل عمل الاستبداد والمخابرات، فهي تحجر على العقول، وتدفع الإنسان إلى الرضوخ، وبالتالي تعطل العقل، إنها تهدر العقل الإنساني وتحوله إلى مستوى من النشاط العصبي النباتي، وإشباع حاجات البقاء البيولوجي. والثقافة الطائفية مبنية على التقليد والفوقية واليقينية، بحيث لا يمسها نقد، إنها تلغي الاعتراف بالآخر كإنسان أو كقيمة متميزة في موقع إنساني، له حقوق وعليه واجبات. وليس هناك وظيفة للمعرفة والفكر في المجتمع الطائفي، ففي هذا المجتمع يتحول الذكاء من أساس نظري للإنتاج وتنظيمه، إلى تحايل، فالذكي هو المتحايل.... لا غير، هو الذي يصل كيفما كان، لا وفق قواعد الإنتاج والعطاء والارتقاء. (١٣).

إن تشجيع الفكر، من خلال الحوار والنقاش وتعزيزهما، يطلق مادتي الأندروفين والدوبامين

في الدماغ، وهما ينشطان الفكر التحليلي النقدي، ويساعدان على زيادة تكوين الشبكات العصبية في الدماغ، من خلال نمو الشجيرات التي تربط الخلايا العصبية، وكلما زادت التحديات الذهنية، ومعها النشاط المعرفي نمت هذه الشجيرات، وتوفرت للدماغ شبكات عصبية جديدة تزيد من كفاءته. وعلى العكس من ذلك، فإن التزمت والتشدد والانغلاق والحجر على الفكر، وكذلك التلقين وفرض الجواب الصحيح الواحد، تؤدي إلى تصلب الدماغ وتردي كفاءته. وإذا كان الفكر بخير، فإن المجتمع بخير، وإذا كان الانتماء على قاعدة الاختيار، فإن العقل هو المرجع الأخير (بعد مرجعية الدين وبما لا ينافيه)، والضابط للأهواء والانفعالات والرغبات. (١٤).

والسلوك الطائفي المتعصب له سماته وآلياته ومرجعياته وأزماته، ويتبدى هذا السلوك الجمعي في صعوبة الانتظام في المؤسسات الديمقراطية الحديثة، كما يتبدى هذا السلوك في كفاءته في تعطيل مفهوم الولاء العام وتحويله إلى ولاءات دونية لاغية للوطن، فمع الطائفية تنهار العلاقات الإنسانية، وتسقط فكرة العدالة، وتنتفي فكرة الكفاءة، والطائفية في أسوأ تمثل لها، تعتبر سلاح دمار شامل، إنها أداة لاغية، وأول من تقوم بإلغائهم هم الذين انضووا تحت أقدامها، ويتبدى هذا السلوك الطائفي في قدرته على منع التغيير والنمو، وعبقريته في إعادة إنتاج المشكلات ذاتها، مرات تلو مرات، مع تضخم مفاجئ يصل إلى حدود الهستيريا السلوكية، المعبر عنها إعلاميا بالاصطفاف الطائفي اللاغي للتميز والتعقل والنقد. (١٥).

الفرد الطائفي:

الأفراد الطائفيون هم الأفراد الذين تلبَّسهم النسق الطائفي التعصبي، وكَمُنَ فيهم، ونشط فيهم ومن خلالهم أيضا. وهؤلاء على درجات مختلفة من الخضوع للنسق والاستكانة لسطوته، فثمة أفراد تفوح منهم رائحة الطائفية على بعد أمتار، وترى آثار النسق الطائفي على جبينهم شاخصا كالبيرق. وهؤلاء يسهل التعرف عليهم، كما يسهل اتقاء شرهم وتجنب أذاهم. وكم من أناس نتعامل معهم على أنهم إنسانيون وأبرياء من الطائفية، ونكتشف لاحقا أن هذا الوجه (الإنساني) ليس إلا جبل الجليد الذي يكمن النسق الطائفي تحته. (١٦).

والإنسان الطائفي لا يملك القدرة على إصدار حكم قيمي تأسيسا على سلم أخلاقي، فهو

يؤيد زعيمه بشكل أعمى: يبرر أخطاءه، ويزينها أحيانا، يتباهى بها، يضفي عليها مسحة العبقرية والشطارة، يفاضل بين أفعال زعيمه وأفعال خصمه، ولو كان الإثم مشتركا بين الإثنين. والفرد الطائفي حين يتعصب لمذهبه أو لطائفته أو حزبه أو جماعته أو عرقه لا يهتم لما في المذهب أو غيره من مبادئ خلقية أو روحية فذلك أمر خارج عن نطاق تفكيره، وكل ما يهتم به هو ما يوحي به التعصب من ولاء لجماعته وعدائه لغيرهم. (١٧).

والفرد الطائفي كالقبلي يعادي من تعاديه القبيلة، ومن يخرج عن هذه التبعية، أي من يختار طريقا آخر، يصير صعلوكا يشتري حريته بتشرده، ويشتري حياته الخاصة عبر وضعها عند تخوم الخطر والموت. إن ذات الطائفي هي من ذات الطائفة، وفي ذاتها، أو قرب ذاتها، وإخراجه من الرحم أو الحضن، أو فطامه عن الثدي، قسوة باهظة لا يستطيع احتمالها، لأن ذلك يضعه في مدار الانعدام. فمن اعتاد الاتباع والانزلاق اللاإرادي يصعب عليه تنكب الحرية وتبعاتها. (١٨).

والفرد الطائفي ليس بحاجة إلى أن يتدرب كي تنزع منه حريته، فهو يسلم بالطاعة منذ نعومة وعيه، وليس بحاجة إلى انتزاع حريته، لقد تربى على الاتباع عاطفيا، وعلى الامِّحاء العقلي، يفقد الطائفي في هذه الوضعية مرجعيته الذاتية، إنه كائن ناقص الوجود، يلغي وجوده، ويكاد يكون غير موجود إلا في ثياب غيره، لا يملك القدرة على اتخاذ قرار ذاتي، لا يتصرف من

عندياته أو على ضوء تحليله الخاص ونقده الموضوعي وآلياته المعرفية، لقد اختار الأسر وقبل بهذه الدونية المريحة، ولقد استكان إلى طمأنينة الجواب الواحد، والقول المتفرد، واليقين الإلهامي، والكلام الذكي الذي يتميز به القائد الحكيم. (١٩).

المجتمع الطائفي:

المجتمع الطائفي والمذهبي هو بالتعريف مجتمع مغلق، تنكفئ جماعاته على داخلها الفئوي لتتمايز من بعضها، أولا، ولتقيم لنفسها .بذاك الانغلاق .حزام أمان يحميها من غائلة غيرها، ثانيا. وهذا معناه أن الجماعات المغلقة التي من هذا النوع تتخاوف، لأنها تتبادل التهديد . المضمر والمعلن . بينها، فتدفع الواحدة منها الأخرى إلى التهيب والتحسب، وتمرين الاجتماع الأهلي الفئوي أو العصبوي، الداخلي على طقس الدفاع الذاتي، عن طريق التربية والتكوين، ووسائط المخاطبة المختلفة (الإعلامية الثقافية، المسجدية، الكنسية، الدعوية، الحزبية ...) ولا تميل هذه العصبيات .الطائفية والمذهبية .إلى معادة بعضها، وإلى الخوف من بعضها، إلا لأنها متشبعة بثقافة الإنكار: إنكار حق الآخر في منازعتها تمثيل الحقيقة أو سدانتها، حين يكون لكل جماعة مسجدها أو كنيستها وأوقافها، ومدارسها، وتقويمها الخاص لمواقيت الأعياد الدينية، وأحزابها، ومؤسساتها الطبية، وأحوالها الشخصية ... إلخ، وهي جميعها نتاج مؤسسي لرأي قد يكون فاه به أحد ما من ألف عام أو يزيد، فليس من مغزى لذلك سوى أن كل واحدة منها تحسب نفسها (الفرقة الناجية)، الفرقة المخلدة في الجنة، وأن ما عداها في ضلال مبين. (٢٠).

والمجتمع الطائفي والمذهبي مجتمع خال من ثقافة الاعتراف، ليس الاعتراف بحق المخالف في الرأي والاعتقاد، بل حتى بالحق في وجوده! إنه مجتمع يعني فقرا مدقعا فادحا حتى في قيم الصفح والعفو والمساكنة، لذلك تراه مستنفرا ضد بعضه، مستأسدا في حروب الداخل ببسالة لا تضارعها مناضلة العدو الخارجي، ولذلك هو مجتمع منقسم (أو انقسامي)، يفتقر إلى علاقات الاندماج الاجتماعي، وإلى الشعور بالانتماء المشترك. وهل يستغرب والحال كما وصفناها، أن يكون هشا ورخوا، وسهل الاختراق الخارجي، وأن تبحث عصبياته لنفسها عن الحماية من الخارج، فتكون كل واحدة منها تبعا لدولة أجنبية، وأن تكون صلتها الوحيدة

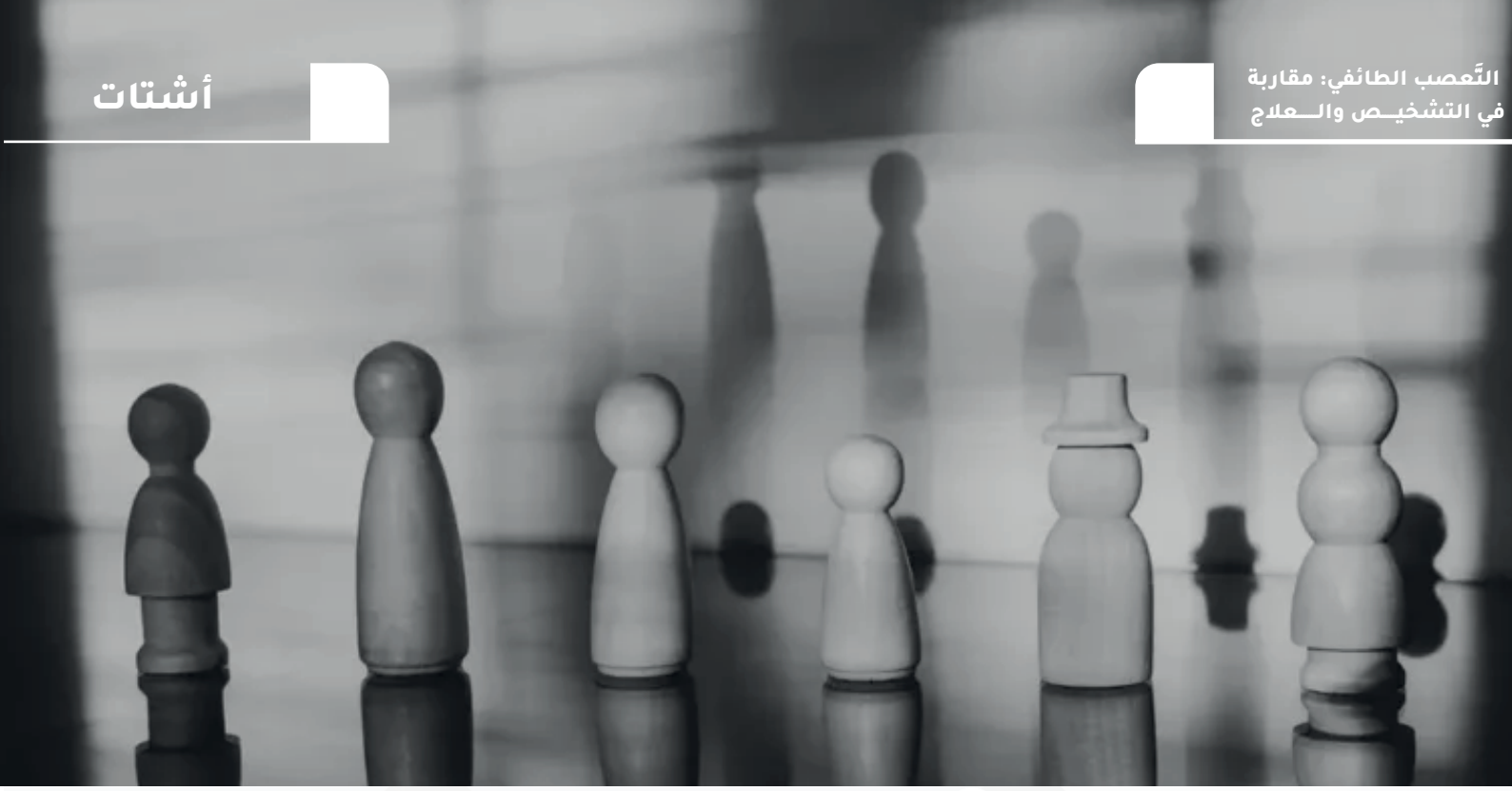

بالداخل مع سفارة تلك الدولة الأجنبية التي تحميها. (٢١).

إن المجتمع الطائفي هو باختصار، نقيض المجتمع المدني، ونظامه السياسي نقيض النظام الديمقراطي، لأنه .ببساطة شديدة .مجتمع الرعية التابعة الخاضعة، لا مجتمع المواطنين، المجتمع الذي يغلب فيه الولاء للطائفة والمذهب على الولاء للوطن والدولة. ولذا يتم ترويض الناس طائفيا عبر إخضاعهم للذة الامتثال، وجاذبية الحماس وإلف الظهور بمظهر الولاء. بينما تحتاج الديمقراطية إلى مواطن حر، قادر على الاختيار، وقادر على الانحياز إلى القيم، ومتمكن من محاسبة المرتكب. أما مثقفي الطوائف فهم من مروجي حالات الانتقال من النقيض إلى النقيض.

الطائفية بين الداخل والخارج:

من أصعب الأوضاع في السياسة بقاء الأمور عالقة في عنق الزجاجة في أي مجتمع أو دولة، فلا هي متحركة نحو الأمام، ولا هي متغيرة لفتح آفاق للرؤية، وتزداد الأوضاع تعقيدا عندما تختلط الأوراق بين الداخل الوطني المتعدد، والخارج الإقليمي المؤثر، والضغط الدولي المتعدد، لا سيما إذا جاهد كل طرف من الداخل لتحقيق أجندته الخاصة التي تصطدم في الرؤية والاستراتيجية مع الأطراف الأخرى.

وقد تعلمنا من التاريخ بأن الأمة التي تنشغل بصراعاتها الداخلية تقدم الفرصة الذهبية لاصطفاف أعدائها، وبالتالي تآزرهم ومن ثم انتصارهم، سواء بين الطوائف المسيحية أو

المسلمة أو غيرهما، وقد تنطبق هذه الحالة على الأمتين الإسلامية والعربية في هذه المرحلة الزمنية، إذ بلغ انشغال أمتنا بصراعاتها الداخلية، التي تتراوح بين الأهلية والطائفية، إلى حد الاحتراب الداخلي، فرخصت دماء الإخوة الواحدة، وانفتحت الثقوب في جسدنا ليتسلل منها العدو، ويبث سموم الفتن العرقية والقومية والطائفية.

ومن مشاكل أمتنا العظيمة على مر التاريخ حتى يومنا الحاضر، لا سيما في المنعطفات الحساسة التي تبرز فيها معاركنا الداخلية، أننا نتغافل عما يجمعنا، ونصر على التوقف طويلا عندما يفرقنا، بينما الحكمة تقتضي تجاوز المفاهيم الخاصة بكل مذهب أو طائفة، التي قد يختلف حولها أصحاب المدارس المختلفة داخل المذهب الواحد، لكنها تتحول إلى أداة للاختلاف بين الطوائف، رغم علم الجميع وإدراكهم أن تلك المفاهيم الخاصة قد تنبع من الاختلاف في فهم نص صريح أو حادثة تاريخية ما، أو من اختلاف في الاجتهاد أيضا. والأكثر سوءا هو اعتقاد البعض أن انتصار طائفته هو استحقاق تاريخي لا بد منه حتى وإن كان على حساب تمزق الأمة وانتصار الأعداء. إن الانتصار للطائفة ضد الطائفة الأخرى في مراحل الاعتراك الداخلي هو هزيمة لكل الأمة التي تجمع تلك الطوائف في رحابها. وذلك يعني أننا لا نعي تجارب التاريخ أو لا نهضمها، أو أن لدينا عسر هضم في أجهزتنا الهضمية! (٢٢). والخلافات المذهبية هي الطعم اللذيذ الذي يستلذ في استخدامه أصحاب النوايا السيئة، فهي تحقق لهم الممتنع عنهم من خلال ممارسة العمل الديمقراطي، فتلتقي مصالح الأطراف الداخلية والخارجية عند محور استخدام الخلافات المذهبية نحو تغيير خارطة سياسية قائمة بأخرى مأمولة، كما يجري حاليا في العراق ولبنان وغيرهما. وتسعى بعض الأطراف الإقليمية والدولية، للاستفادة من إضعاف كل الأطراف الداخلية في تلك الدول، كإسرائيل وأمريكا، كي يبقى فتيل التوترات المذهبية والطائفية مشتعلا. بيد أنه لو نظر كل طرف داخلي إلى مصالح الأمة وأولاها الاهتمام المطلوب بحيث تكون في أول سلم الأهداف لما استطاع الأعداء اختراق جسد الأمة من ثقب الفتن الطائفية. وهو ثقب ذو ممر ضيق، ولكنه يفضي إلى حروب أهلية، تجر البلاد والعباد إلى مستقبل مجهول، وإلى جراحات دامية تصيب النفوس قبل الأبدان. (٢٣). وليس المقصود . هنا. تعليق مشاكل الأمة على مشجب (نظرية المؤامرة)، لأن المؤامرات لا تنجح إلا بخلل في الذات، وبقدر ما نحاول التركيز على ما

ويسقيها بالماء ويمدها بالأسمدة الكيماوية، بحيث تكون مشكلة كل قطر أكبر من هذا القطر. وفي نفس السياق فإن الطائفية والمذهبية والعرقية هي العصا التي يلوّح بها أعداء الأمة كلما أرادوا تحقيق مصالحهم وتمرير مشاريعهم في بلادنا. وهذا ما يراه (زبغنيو بريجينسكي)، مستشار الأمن القومي خلال رئاسة جيمي كارتر (١٩٧٧ -١٩٨١)، الذي عمل مستشاراً في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية وأستاذاً لمادة السياسة الخارجية الأميركية في كلية "بول نيتز" للدراسات الدولية المتقدمة بجامعة "جون هوبكنز" في واشنطن، يرى أن أفضل وسيلة لتفتيت الأنظمة والدول والشعوب هي تعميق التعدد المذهبي والطائفي والعِرقي، من خلال تمكين طائفة بعينها ودعمها، لقهر بقية المكوّنات (٢٤).

ومكمن الصعوبة في حالة كالحالة العراقية. مثلا. يتمثل في ثلاث عقليات: العقلية المحتلة، والعقلية الحاكمة، والعقلية المحكومة. فتعنت وعناد الأولى، وارتباك الثانية وضعف خبرتها، وانفراط العقلية الثالثة من عقالها على ركيزة الحرية، هي التي أوصلت العراق إلى ما هو عليه الآن. ورغم ادعاء الجميع أن الطائفية مقيتة ومرفوضة، والديمقراطية جميلة ومرغوبة، والفرق بينهما كالفرق بين الحياة والموت، ولكن رغم وضوح هذه الحقيقة إلا أن أوهام الواقع المسيطرة على العقليات الثلاث. السابق ذكرها. تقود نحو الطائفية لا الديمقراطية، فعقلية المحتل رفعت شعار (النموذج العراقي للديمقراطية) كحلم أمريكي صار سرابا، وعقلية الحاكم أرادت الأمن والسيادة والوحدة الوطنية كأمنيات نخيل العراق التي تفتت على صخرة الاستحواذ الفئوي والطائفي، وعقلية المحكوم التي استبشرت بالحرية واستنفذتها بتكالب الجميع عليها، ثم باستجابتها لما استدرجت إليه من مصائب يومية. (٢٥). وكل حديث عن الخارج لا يأخذ بالنظر هذه الاعتبارات يقع في التبسيط وفي الخطأ، ثم إن الخارج عموما يتموضع ويستوطن ويخترق المشكلات الداخلية، بل إن مشكلات الداخل لا تظهر فعليا إلا في لحظة الضعف.

إن ما يرمي. وما يزال يرمي. إليه النظام الغربي بعد تغيير جلده اليوم هو تقطيع مجتمعات الأطراف إلى شرائح أو إلى كيانات قبلية طائفية عرقية إقليمية، لا لكي يسهل عليه إلحاقها به فحسب، وإنما لكي يستأثر بزمام المبادرة في معالجة التاريخ العالمي، ويسمح لنفسه بتأسيس منظوره الخاص للتاريخ، على حساب تواريخ أو ثقافات الشعوب الأخرى، وذلك عبر تفسير

يهمنا وينبغي التأكيد عليه دائما من الالتفات إلى الذات فيما هي عليه وما ينبغي منها. صحيح أن أمتنا مستهدفة، ولكن الأصح ألا نتيح للمستهدفين أن ينجحوا في اختراقنا واستثمار مشاكلنا الداخلية، من خلال الفتن الطائفية التي قد نشعل حطبها بأيدينا بقصد أو دون قصد تحت عناوين فئوية أو استحقاقات آنية.

ينقل عن رئيس الحكومة اللبنانية الراحل تقي الدين الصلح أنه التقى في الولايات المتحدة ذات مرة بالمفكر الأمريكي (كرمت روزفلت) الذي كان يعمل مديرا لمعهد الشرق الأوسط في واشنطن، وأخذا يتكلمان معا في شؤون المشرق العربي ... فكان كلما أتى ذكر دولة من هذه الدول ألحقها روزفلت بمشكلة مستعصية لاصقة بها. فعند ذكر العراق قال: مسكين العراق عنده المشكلة الكردية، وعنده انقسام الشعب بين سنة وشيعة. وعند ذكر الأردن قال: مسكين الأردن عنده مشكلة البدو، والفلسطينيين، وعند ذكر سوريا قال: عندها مشكلة توزع الشعب بين طوائف ولم يكن الفرنسيون في مطلع العشرينيات على خطأ عندما أنشأوا دويلات طائفية ومذهبية فيها كدولة العلويين ودولة جبل الدروز. أما لبنان الذي توقف عنده كرمت روزفلت وقفة خاصة، فقال عنه: المشكلة أن البلد فسيفساء طائفية ومذهبية غير متجانسة، وأن الموارنة غير مندمجين مع بقية السكان! وهكذا. وقد أضاف تقي الدين الصلح ضاحكا، عرفت من كرمت روزفلت أن السياسة الغربية في منطقة الشرق الأوسط أشبه بمشتل زراعي يهتم فيه بصحة كل مشكلة من مشاكل المنطقة: فهو يحرص على رعايتها

الحوادث الخارجة عن حدوده الجيوسياسية بمدى ارتباطها بصورة أو بأخرى بمرحلة من مراحل تاريخه الخطي، وإلا فإن مصيرها محكوم بعدم صلاحها للفهم إنسانيًّا وتاريخيًّا.

والتاريخ الغربي يعكس في جوهره منطلقا عرقيا تعصبيا ينطوي على الاستعلاء والعصبية التي تقلل من شأن الأجنبي وإنسانيته والاستهانة بحقوقه وحياته، وإخضاعها لاعتبارات المصلحة الأنانية. هذه النفسية هي التي تفسر قسوة الصراعات الأوروبية، والمآسي وجرائم الإبادة الإنسانية التي نزلت بالعديد من الأقليات الدينية والعرقية مسيحية ويهودية ومسلمة، كما تفسر الجرائم والويلات الاستعمارية التي لقيتها الشعوب الأفريقية والسكان الأصليون في الأمريكيتين واستراليا، كما أن هذا التاريخ وهذه النفسية تجعل مستقبل الأقليات في هذه البلاد وليس بالضرورة في مأمن من التعديات في المستقبل على غرار ما حدث للأقلية اليابانية في الولايات المتحدة الأمريكية في فترة الحرب العالمية الثانية. (٢٦).

التعصب الطائفي ... مقاربة في التشخيص والعلاج (٣)

الطائفية والدين:

في البدء ينبغي التفريق بين أمرين: الأول: التفريق بين الفكر الديني والفكر الطائفي، فالفكر الديني هو النازل من السماء بالكتب السماوية، التي أرسل الخالق .سبحانه وتعالى .رسله إلى خلقه بها، وتقوم جميعها على التوحيد كالإسلام والمسيحية واليهودية، على ما شاب الأخيرتين من انحراف. بينما الفكر الطائفي هو تفريع أو انشقاق عن فكر ديني، يتفق في الأصول مع الدين المنشق عنه، ويختلف تارة في بعض الفروع عن الطوائف المتبنية للدين ذاته، وتارة أخرى يختلف معها في إدارة شؤون الطائفة أو ممارساتها التعبدية. والأمر الثاني: التفريق بين الفكر الطائفي وممارسة الطائفية. إذ يعتبر الأول حقا إنسانيا كفلته جميع الديانات والمواثيق الدولية والحقوقية. بينما الثاني، في معناه السياسي والإداري السلبيين، ترفضه جميع الكتب السماوية والاتفاقات الدولية، وجميع أسس وبنود حقوق الإنسان. فالأول يتماشى مع الطبيعة البشرية من حيث حرية الاعتقاد والتفكير والاختيار، بينما الثاني يصطدم بحقوق الآخرين الفكرية والسياسية والاجتماعية. (٢٧).

والطائفية ليست الدين، وإن هي من الدين، أو هي تبرر نفسها به، فالدين أرحب في المبادئ والقيم، وأشد تسامحا من الطائفية. والخلط بينهما جار على أوسع النطاقات لدى من

يتناولون الظاهرة بالدرس، على مثال ما هو جار . وراسخ في الوعي . عند الطائفيين أو المدافعين عن شرعية الطائفية: كبنى ذهنية عقدية، واجتماعية، وسياسية، وهؤلاء كثر في العالم، وفي بلادنا العربية على نحو خاص! وطبيعة الطائفية أنها تطل برأسها كلما تحول الدين من رسالة ربانية سامية إلى مؤسسة اجتماعية اقتصادية سياسية، وغالبا ما يتذرع بها البعض عندما يريد تحقيق أغراضه أو الحصول على مكاسب لا يتمكن من إحرازها بالطرق العادية، أو عندما يريد التغطية على ممارساته الفاسدة وحماية موقعه السياسي. (٢٨).

ومعضلة استعمال فكرة الله أو اسم الله كذريعة لا تتفوق على معضلة أخرى من المعضلات الشائعة، وهي استعمال فكرة الله أو اسمه كسبب استفزازي. هناك متعبدون كثيرون يمارسون الاستفزاز انطلاقا من عاداتهم الدينية. إنهم يستغلون لأبعد حد تقاليد وأعراف مذهبهم كي يضايقوا بها الطرف الآخر غير الخاضع لهذه الأعراف. وقد يصل الاستفزاز أحيانا كثيرة لدرجة التحرش، ويصبح وقوع الشر واردا في كل لحظة. (٢٩). فالطائفة أصبحت في حالات معينة أكثر تأثيرًا في الحياة الاجتماعية من الدين نفسه.

والتدين المغلوط من أسباب رواج التعصب الطائفي، ذلك التدين الذي يحول قيمة الحب الجميلة إلى كراهية في النظر إلى الآخر وفي سلوكه معه. ذلك التدين الذي يبدل مبدأ الرحمة إلى اصطفاف للتشدد والعنف، فباسم الدين . أي دين . وباسم الله، عند كل ديانة، ومذهب، يصبح التدين أداة لقمع المخالف، وآلية لتهميش المنافس، ووسيلة لاستبعاد الهويات المغايرة، حصل ذلك بين أبناء المذاهب في المسيحية، وواقع أيضا بين المذاهب الإسلامية ... والإشكال ليس في الأديان والمذاهب، إنما هو في انحراف تدين المتدينين عن جادة التدين الحقيقي الذي يفيض بالحب والرحمة.

ولا يهم هنا إذا كانت هذه الطائفية تعني تعصبًا لجماعة تابعة لمذهب أو دين، أي إن كانت طائفيّة مذهبية أو طائفيّة دينية. فهي في الحالتين انتماء عصبوي إلى جماعة تجمعها رابطة العقيدة (وليس بالضرورة الإيمان بهذه العقيدة وممارستها). ففي الطائفية عمومًا يتغلب التعصب للجماعة على التعصب للدين، وفي المذهبية والتدين يغلب التعصب للمذهب أو للدين على التعصب للجماعة، ولكن غالبًا ما يتقاطع التعصبان. (٣٠). يقول الدكتور علي الوردي: "ضعفت نزعة التدين في أهل العراق وبقيت الطائفية: حيث صاروا لا دينيين

وطائفيين في آن واحد. وهذا موضع العجبّ". (٣١).

الطائفية والسياسة:

الأنظمة الموصوفة بالطائفية لها أمراضها، كما أن الأنظمة المحض تنافسية لها أيضا أمراضها! كل نظام من دون استثناء يحتوي على بذور فساده إذا افتقر إلى آليات مستدامة لتأمين ضوابطه. وقد ساهم القمع والكبت والتهميش والأزمات في تحويل الجماعات الطائفية إلى مؤسسات ذات تطلعات سياسية. وكذلك ترسخت المؤسسة الطائفية، وأصبحت الطائفة نفسها تشكيلا سياسيا يطبق على أنفاس المجتمع، حيث لا تستطيع أن تكون موجودا من الناحية السياسية أو القانونية إلا من خلال الطائفة. (٣٢). واصطبغ هذا الصراع بصبغة طائفية لكون الطائفية اليوم نسقا ثقافيا يتحكم في تصورات الأفراد وسلوكياتهم وسبل التواصل فيما بينهم.

والمتابع لمسيرة الأحزاب والتنظيمات في العالمين العربي والإسلامي، خلال العقود الخمسة الأخيرة، بتوجهاتها المختلفة، اليسارية والقومية والإسلامية، يندهش لكثرة التوالد الانشطاري فيها. هذه الحالة شبيهة بكثرة الإنجاب في البلدان العربية والإسلامية، وكأن رغبة التوالد ورغبة الانشطار تتماشيان مع المزاج العام لشخصية أبناء هذه المجتمعات. يقول المفكر الإنجليزي (جون لوك) قبل أكثر من ٣٠٠ سنة، عندما هاله الشقاق الدموي بين

البروتستانت والكاثوليك في أوروبا في النصف الثاني من القرن السابع عشر، والذي استمر عقودا طويلة: " إن الصراع بين الطوائف المسيحية ينم عن صراع البشر على السلطة، واحتكار المرجعية، أكثر مما يعبر عن كنيسة السيد المسيح". (٣٣). ولذا مهما قدم المنتصر . تكتيكيا . من مساع ومبادرات للتصالح مع الآخرين من الطوائف الأخرى، سوف يقرأها الآخرون على قاعدة الشك لا الثقة، لأن أرضية التظالم تبقى مستبطنة بين الطوائف، لا تنمحي بسهولة. والخوف يُحيي النزعات القبلية والمناطقية والطائفية، والأمن والعدل يلغيها. وعندما تتعامل الدولة مع مخالفيها بمنطق مذهبي طائفي وتُغذي النعرات الطائفية بين "أبنائها"، إن كانت تحسبهم كذلك، فقد فقدت سبب وجودها الجامع - في الأصل - الناظم لمكونات المجتمع تحت مظلة "الوطن"، وبالتالي فقدت هيبتها وأهليتها للقيادة، وهي بهذه العقلية بالطبع لن تتنحى من تلقاء نفسها، وإنما تحتاج إلى آليات ورافعات ومطهِّرات ومعقِّمات... وهذا بالضبط ما تفعله الثورات اليوم في بلادنا، ولبلوغ هذا الهدف يبذل أبناؤها أغلى وأعز ما يملكون.

ونحن نرى أن لا حل غير المواطنة المتساوية ضمن الجماعة الوطنية الواحدة، بعيدا عن مواريث الفقه الطائفي القديم والحديث، وعن نوازع العزلة الطائفية الجديدة. فلا بديل عن المواطنة المتساوية التي لا مِنَّة فيها من حاكم على محكوم، أو من أغلبية على أقلية. لكن إنصاف الأقليات غير المسلمة في الدول العربية والإسلامية غير متاح دون إنصاف الأكثريات المسلمة. ومن إنصاف الأكثريات احترامُ خيارها في صياغة بناء دستوري وسياسي منسجم مع منظورها الأخلاقي والتشريعي. فأكبر خطأ يمكن أن تقع فيه الأقليات غير المسلمة في العالم العربي والإسلامي هو اعتبار كل قوة سياسية إسلامية عدواً، واعتبار كل أسلمة للفضاء العام اضطهاداً. (٣٤). ولذا عندما يصاغ دستور أي بلد لا بد أن يصاغ بعينين، واحدة على الحاضر الواقعي المؤثر وتستبطن المستقبل المنظور، وواحدة على المستقبل البعيد غير المنظور وتستبطن الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية، حينها يمكن أن تتقي المجتمعات صراعات دموية قريبة ونزاعات مستقبلية قاصمة. حيث أن من تعريفات الحرب الأهلية والفتن الطائفية أنها: "عملية تلتهم فيها مجموعة من الأفكار المتطرفة غير الخاضعة للتفكير ولا للنقد رصيد التعايش بين أناس تعايشوا معا لقرون عديدة، ويفقد معها الإنسان

زمام ذاته". (٣٥).

الطائفية والقيم:

التحيز في حقيقة الأمر ميل وبتدقيق المعنى هوى متبع، والهوى سقوط، والسقوط تحيز، ومنه ما يتعلق بالأمر المعنوي ومنه ما يتعلق بالمادي، والتاء في تحيز، للطلب وكأنه طلب للميل، وهو يتعلق بالعوالم الأربعة جميعا (عالم الأفكار والأشياء والأشخاص والأحداث)، كما يتعلق بكل عناصر السلوك (الاتجاه والرأي والحكم والموقف والسلوك الفعلي). (٣٨). إن كلمة التحيز تكون أثيرة ومقبولة عندما تعبر عن موقف واضح يناصر الحق ولا يجافي الحقيقة، ولكنها تكون كلمة منفرة ومرفوضة عندما تعني في الأذهان تعصبا أعمى لنزاعات ذاتية أو ابتعادا مقصودا عن جانب الحق والموضوعية.

ومن المفارقات العجيبة أن يصبح الانتصار للطائفة من القيم التي يتم الترويج لها لتكون قاعدة في التعامل بين أبناء المجتمع الواحد المتعدد الطوائف! وكلما ازداد التصاق الوحشية بظل البطولة، أو بظل الانتصار للطائفة والعرق واللون، أو بظل الدين أو بظل المصالح الاقتصادية المتضاربة، أصبحت الروحانية مجرد قناع لسفالة الإنسان في دنياه، فوحده الإنسان فقط هو الذي بوحشيته يهدد سلامة المبادئ والقوانين الطبيعية الضرورية لوجود الكائنات الحية جميعها وعلى رأسها هو بالذات. وخصوصا عندما يتذرع بالدين، أو القومية، أو اللسان... إلخ. (٣٩). ولنتأمل شهادة الدكتور برهان غليون في هذا السياق، والتي يقول

فيها: "إن بين الرافعين لشعارات القومية والوحدوية، عتاة الانفصالية والقُطرية، وبين المتحدثين بالعلمانية حماة العشائرية والطائفية! فالانفصال بين القول والعمل، بين المعتقد والسلوك، بات اليوم ظاهرة عامة كبيرة، بل طامة كبرى"! (٤٠).

دوائر الانتماء:

الإنسان وجود وهوية، الوجود نتاج الخلق الرباني، والهوية نتاج الانتماء إلى الاجتماعي والثقافي والسياسي في مكان وزمان ما، إذ يولد الإنسان في اجتماع ثقافي وسياسي معين، فيجد نفسه في وسط دوائر انتماء متعددة. ثمة دائرة العائلة، ودائرة العشيرة والقبيلة، ودائرة المنطقة أو الإقليم، ودائرة البلد أو الوطن أو الدولة. و"كلمة هوية هي كلمة مضللة، فهي توحي في بادئ الأمر بحق مشروع ثم تصبح أداة قتال، وهذا الانزلاق من دلالة إلى أخرى يبدو خفيا وطبيعيا، ونحن ننخدع به أحيانا، فنشجب ظلما يمارس، وندافع عن حقوق شعب يعاني، ولا نلبث أن نجد أنفسنا متواطئين مع مجزرة ترتكب". (٤١).

وينجح المتطرفون . في كل دائرة . عادة وبسهولة عجيبة في جمع المؤيدين والمريدين بسبب الشعارات المرفوعة من قبل المتطرفين، وبسبب قابيلة المجتمعات الشرقية للتعصب الجماعي القادم من الموروث التاريخي العصبوي للقبيلة، وبسبب المفهوم المغلوط للإيمان بهوية واحدة تتنافر مع الهويات الأخرى، مع استصحاب جميع النزاعات والظلامات التي تعرضت لها كل هوية. والانتماء الذي يتعرض للتجريح ويشعر أهله بمظلوميتهم أمام الهويات الأخرى، ويرددون صورا لمعاناتهم واضطهادهم، تحولهم هذه الحالة إلى توثيق تمسكهم بهويتهم وتماسكهم تجاه الهويات الأخرى، بل تساهم في رسم تراتبية تلك الهويات وانتمائهم لها. لذلك "غالبا ما ينزع المرء إلى التماهي مع أكثر انتماءاته تعرضا للتجريح" (٤٢).

وقضية التوازن بين الحاجة للانتماء والحاجة للانفتاح: انتماء هادم للعقد تجاه ثقافات الهويات الأخرى، وانفتاح بناء لا يخجل من هويته الخاصة، بل هو انفتاح يخدمها ويقويها.

هو توازن بين المحافظة على وجود وبقاء الذات ووجود وبقاء الآخر.

وعندما تتزاحم الولاءات يحتاج الإنسان إلى مرشد حكيم يساعده على ترتيب أولويات تلك الدوائر حتى يتسنى له التعامل والتفاعل السلس معها جميعا دون الشعور المعقد بالتضارب

بينها أو التضاد. مع قناعتنا بأن التزاحم حالة مصطنعة أكثر من كونها حقيقية. (٤٣).

الاجماع الثقافي والسياسي:

لا يمكن إقامة إجماع ثقافي بين الناس، فتنوع المجتمعات سنة كونية لا يمكن تبديلها، وتعدد المشارب الفكرية نتاج طبيعي لتراكم تاريخ التجربة البشرية عبر العصور، ناهيك عن الاتساع كما وكيفا، لأنماط الحياة الثقافية والفكرية بين أبناء المجتمع الواحد في القطر الواحد. بل ما عاد حلم الإجماع الثقافي يراود أهل الثقافة أنفسهم لقيام (المدينة الفاضلة). فمن الصعب الوصول إلى إجماع ثقافي على أرض تحتضن فسيفساء اجتماعية مكونة من مذاهب دينية متعددة أو مدارس أيديولوجية مختلفة، لذلك ينبغي السعي للوصول إلى بديل أو بدائل عن فكرة توحيد الشعب أو المجتمعات تحت سقف أيديولوجي واحد، بحيث يؤمن جلهم بمفرداته ويعتقدون بتوجيهاته. والاجماع السياسي الواقعي، المبني على المصالح المشتركة قابل للوجود والديمومة، بينما الاجماع الثقافي المبني على الوهم قابل للتمزق عند أضيق المنعطفات وأصغرها، ولكن الاجماع السياسي لديه المرونة على تجاوز المنعطفات الكبيرة والخطيرة. (٤٤). والفرد قد يتماهى ظاهريا مع من يفرض عليه وصاية ثقافية، ولكن لا يعني ذلك قبوله بها أو حدوث تغيير في اعتقاده وقناعاته.

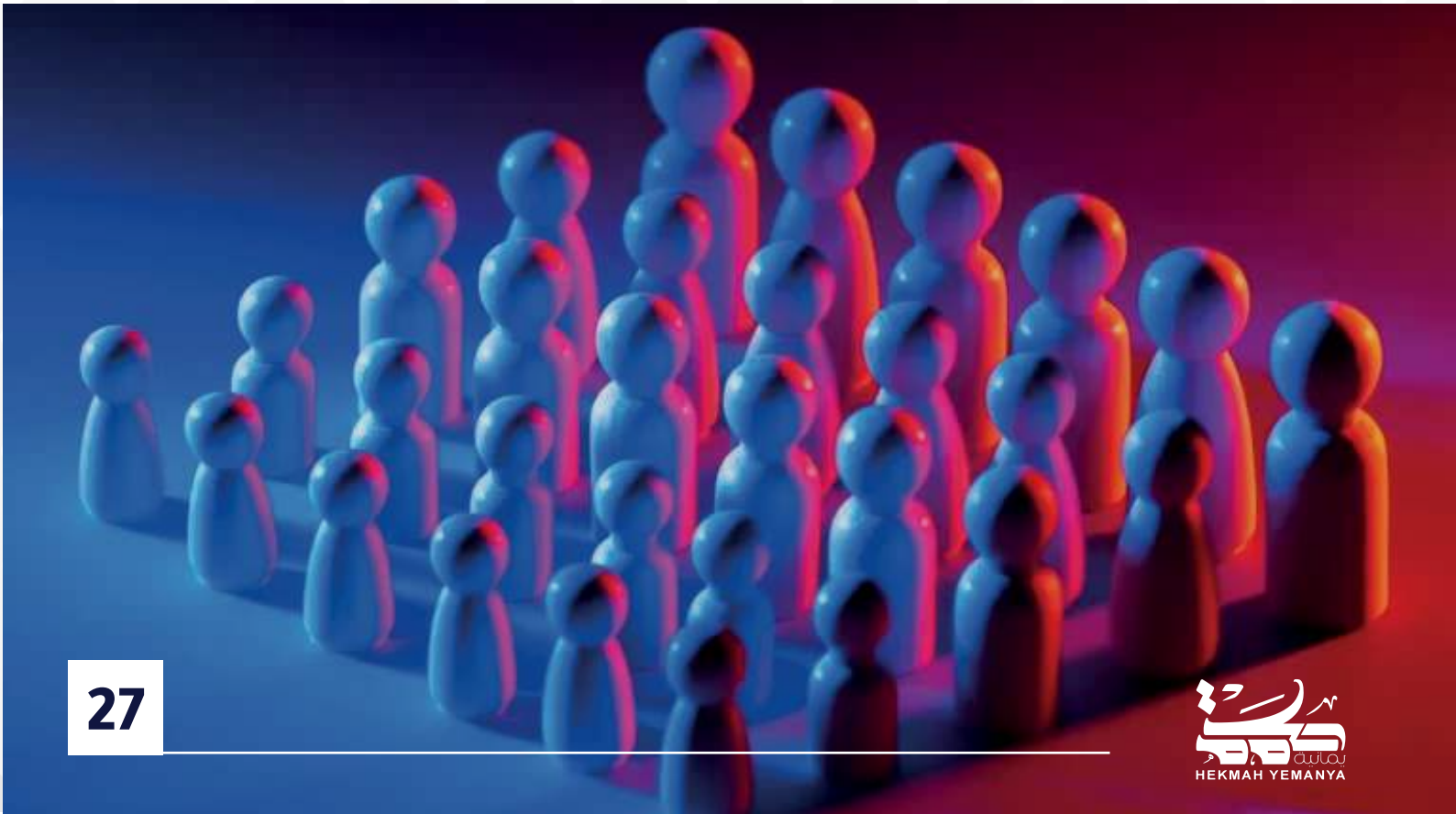

يقول برهان غليون: "إن المواطنة والشعور بالانتماء لأمة من الأمم يرتبطان بعنصرين: عنصر الاجماع الثقافي، أي الانتماء لعقيدة واحدة مماثلة، وعنصر المشاركة السياسية، أي المساهمة في تكون السلطة. والاجماع الثقافي لا يعني الوحدة، ولكن الاعتراف بقيم مشتركة، كما أن الاشتراك لا يعني النفوذ إلى السلطة، ولكن يعني حق التمثيل فيها". (٤٥).

وفي ظل التشاحن الطائفي يكون عند كل طائفة صغيرة أم كبيرة رأي ورؤية في نفسها وعن غيرها من الطوائف، مما يجعل انعدام الأرضية المشتركة لإيجاد إجماع ثقافي هو الصفة الغالبة. فالطائفة الأكبر تميل إلى الاعتقاد أن تصفية التمايزات الثقافية هي شرط الوصول إلى إجماع يخلق الوحدة والانصهار، وتكمن وراء ذلك فكرة أن فقدان الإجماع السياسي مصدره غياب الاجماع الفكري أو الديني، بينما العكس هو الصحيح. أما الطوائف الصغرى فتميل أيضا، من نفس المنطلق إلى تضخيم مشكلة التمايز الثقافي وتأكيدها لتحويلها إلى مشكلة هوية. (٤٦).

مسارات الطائفية:

اتخذ مفهوم الطائفية مسارات مختلفة، منها ما هو نتاج السياسة واجتهاد الساسة، ومنها ما هو نتاج التراكم التاريخي للعلاقات المتوترة بين الطوائف، ومنها ما هو نتاج الثقافة السلبية المغلوطة لمعنى الطائفة والطائفية، ومنها ما هو نتاج الخلط المغلوط لمفهوم الطائفة والطائفية بين ما يفهمه ويعتقده الغربيون ونتاج تجربتهم، وما يعتقده ويفهمه العرب ونتاج تجربتهم، ومنها محاولة الهروب إلى الأمام على المشاكل الطائفية، ومنها مساعي تحميل الطائفية جميع تبعات التخلف والجهل والهزائم.

يقول سليم الحص مبينا الأثر السلبي لمسار الطائفية في لبنان كحكم ونظام مع فقدان الإجماع السياسي حتى على مستوى التوظيف: "لو كنتَ أعظم الضباط شأنا فلن تكون قائدا للجيش، ولو كنت أطول القضاة باعا فلن تكون رئيسا للتمييز أو رئيسا لمجلس شورى الدولة، ولو كنت أغزر الاقتصاديين أو الماليين علما ومعرفة أو أوسعهم خبرة فلن تكون حاكما لمصرف لبنان المركزي، ولو كنت أقدر الناس وأدهاهم فلن تكون مديرا عاما للأمن العام. أجل لن تكون أيا من هؤلاء إذا لم تكن من ذوي الانتماء الطائفي الذي يؤهلك لهذه

المناصب". (٤٧).

والأمم تميل أيام قوتها إلى الثقة بالنفس، والفضول العلمي، وحب الاستكشاف، والتعطش للمعرفة، بينما تميل في لحظات ضعفها إلى ضعف الثقة بالنفس والتعصب الديني، ورفض التنوع والتعدد الفكري والعرقي والثقافي. (٤٨). وتتمثل جذور الفتنة وبعض العوامل المساعدة عليها في الآتي (٤٩):

١. ارتباط المجتمعات سلبيا بالموروثات التاريخية، مما يجعلها حبيسة التاريخ ومرتهنة له. بل تحتكم إلى وقائع حدثت منذ عشرات القرون في خلافاتها الاجتماعية والسياسية القائمة. والأدهى من ذلك هو التناصر لتلك الوقائع، وكأن النصر الكلامي فيها سيغير من حال الأمة اليوم، أو يغير ثوابت التاريخ كما يعتقد بها كل فريق.

٢. غياب ثقافة التعددية الفكرية وثقافة التوافق السياسية، وبالتالي غياب القبول بالتعددية الاجتماعية والثقافية في المجتمعات عامة.

٣. وجود أمراض ذاتية ونفسية وأخلاقية ناتجة عن طبيعة وبيئة المنظومة الاجتماعية والسياسية والفكرية في المجتمعات، تجعل الارتهان لها حالة سارية عند المتعاطين في القضايا المرتبطة بالطائفية، كالحقد والكراهية والحسد... والعصبية، بحيث يتناصر أهل كل طائفة ضد الطوائف الأخرى، وتحركهم تفاصيل صغيرة جدا.

٤. وجود مصالح ضيقة، أو أجندات سياسية ضيقة، عند بعض الأشخاص أو بعض

الجماعات المعنية بالطوائف أو المهيمنة عليها، فتعمل لأجلها دون النظر إلى الأخطار المترتبة عليها.

٥.بروز الأصوات المطالبة بالهويات الخاصة العرقية والدينية والمذهبية التي تكاثرت وتزامنت مع سقوط أيديولوجيات عالمية كانت سائدة ومهيمنة كالشيوعية.

٦.غياب العدالة في توزيع موارد الدولة، أي عدم توازن الدولة في توزيع الموارد بين مناطقها وطوائفها ومحافظاتها.

التعصب داء الطائفية الأكبر:

طبيعة التعصب:

توصل جون لوك إلى تقرير بدهية غابت عن بال المتعصبين في كل عصر، وهي: " أن النار والسيف ليستا أداتين لإقناع البشر بأنهم على خطأ". (٥٠). والتعصب ليس فقط أمرا لا أخلاقيا، ولكنه قد يكون مميتا. ومجرد التعصب يفقد الإنسان الصواب المطلوب. كما يعتبر التعصب وليد إحساس بالكبرياء الفكري والاقتناع الزائف، بعدم الحاجة إلى ثقافة الآخرين وعلومهم ونمط عيشهم. ومن المعلوم في التاريخ الثقافي أن التعصب يؤدي إلى الفقر الفكري والجدب الروحي، بينما يثمر الانفتاح والتسامح ثراء فكريا وروحيا.

والتماهي مع المبدأ سيف ذو حدين: فهو قد يكون إخلاصا ووفاء، أو تضحية وفداء، ولكنه قد يفضي بالمرء إلى التعصب الذميم وإلى الانغلاق على الذات. وقد يؤول إلى نفي الآخر واستبعاده، ومن ثم إلى ممارسة الإرهاب عليه. وأن من دخل الدين (أي دين) إما أن يتمسك به تعصبا، شأنه شأن أي صاحب دين لا يدفعه إلى التمسك به إلا العصبية والألفة، ولو كان معتنقا غيره لفعل ما فعل، وإما أن يتمسك به عن علم ودراية، لأنه فكَّر في اختياراته وعرف عن عالمه وما فيه، فاطمأنت نفسه لصدق دينه وعظمة رسالته فهو لا يعادله بشيء أبدأ. (٥١).

ولا يدرك المتعصب أنه متعصب، لا يدرك أبدا إلا إذا جاءته رحمة الله فخلع منظاره الملون عن عينيه، فتعدد الآراء في الشيء الواحد هو في الحقيقة اختلاف في ألوان المناظير، لا في الشيء ذاته، ولا في العيون التي تستطيع أن ترى الشيء على حقيقته لو أمكن لها أن تراه

مباشرة وبغير منظار. (٥٢). والتعصب يكون على حساب مقدرات الأمة وثروتها البشرية والطبيعية، وهو ما أكده الشيخ محمد الغزالي حين قال: "إنني استيقنت من أن التعصب الشديد لمسألة ثانوية يتم على حساب الدماء والأموال والأعراض وكرامة الأمة وحياتها". (٥٣).

ولعل نزعة التطرف النابعة من نزعة الشر في النفس البشرية تدفع نحو العصبية القبلية والطائفية والقومية. بينما على العكس من ذلك فإن نزعة الإنسانية النابعة من نزعة الخير في النفس البشرية تدفع نحو رقي المجتمعات، وتقبل بعضها، من خلال بناء المجتمع المدني والدولة المدنية القائمة على العدل الاجتماعي، والمساواة بين المواطنين في كل مناحي الحياة السياسية. والإنسان بطبيعته متحيز ومتعصب لقناعاته، وليس هناك من هو حيادي ومنصف، إلا في النادر، وقليل ما هم، وهو ما أكد عليه الدكتور علي الوردي بناء على أبحاث علمية تشير إلى أن التعصب صفة أصيلة في العقل البشري وأن الحياد أمر طارئ. (٥٤). ومثال ذلك أن الإنسان عندما يكتسب معلومة جديدة تخالف معلومة راسخة لديه، فإنه لا يسعى لتقبلها، وإنما إلى رفضها مهما كانت تحمل من المصداقية.

يقول الصادق النيهوم فيما نقله عنه ياسر حارب: " التعصب ظاهرة من ظواهر الثقافة المتخلفة، إنه نوع من الصراع الفكري الذي تعيشه تلك الثقافة وتعتمد عليه للدفاع عن نفسها ضد أي تيار من الخارج. فالعقل غير المثقف لا يحتمل النقاش، لأنه عاجز عن أن يثق في إمكانياته المحدودة، والحل المتوقع أن يغمض عينيه ويصدمك بعظام جبهته مثل كبش مدرب على النطاح. (٥٥).

ومن سلبيات التعصب أنك مهما حاولت أن تكون عادلاً وترضى عرقاً ما أو طائفة ما بمناصب وأموال، فإنه سيتهمك بأنك لست بعادل مهما فعلت، وهذا وضع تواجهه حكومات وقوى مخلصة، فالتعصب الطائفي والعرقي يريد أكثر من حقه، في حين أن القلوب المؤمنة تعطي أكثر مما تأخذ، ولا يحركها الطمع في المناصب والأموال! وهذا ما يجعل التعصب يمثل ضربا من ضروب الأنانية حيث يكون المتعصب جزءا مما يتعصب له على مستوى النسب، أو المكان، أو الفكرة. ولا يكون التعصب غالبا مبنيا على غير أساس، وإنما يقع فيه التجاوز والمبالغة، مما يحيل المتعصب إلى متطرف حقا.

حكمة يمانية
HEKMAH YEMANYA

ومن سلبيات التعصب أنك مهما حاولت أن تكون عادلاً وترضى عرقاً ما أو طائفة ما بمناصب وأموال، فإنه سيتهمك بأنك لست بعادل مهما فعلت، وهذا وضع تواجهه حكومات وقوى مخلصة، فالتعصب الطائفي والعرقي يريد أكثر من حقه، في حين أن القلوب المؤمنة تعطي أكثر مما تأخذ، ولا يحركها الطمع في المناصب والأموال! وهذا ما يجعل التعصب يمثل ضربا من ضروب الأنانية حيث يكون المتعصب جزءا مما يتعصب له على مستوى النسب، أو المكان، أو الفكرة. ولا يكون التعصب غالبا مبنيا على غير أساس، وإنما يقع فيه التجاوز والمبالغة، مما يحيل المتعصب إلى متطرف حقا.

وتقوم آلية التعصب على اعتقاد المتعصب أنه قبض على الحقيقة النهائية التي تدفع به إلى وجوب الالتزام الكامل برأي أو مذهب أو جماعة أو قبيلة أو فترة تاريخية معينة مما يجمع عادة بين الفضيلة والرذيلة والحسن والقبح والخطأ والصواب. (٥٦).

والتعصب حتى يمنح نفسه الشرعية فإنه يعتمد المبالغة والدعاية أسلوبا من الأساليب. كما يقوم على الاختصار المخل والتعميم المجحف، أي هو مولود لأبوين غير شرعيين، ولذا فإنه مذموم بمعايير الشرع والمنطق والإنسانية. (٥٧).

التعصب الطائفي ... مقاربة في التشخيص والعلاج (٤)
التعصب: مقارباتٌ في المفهوم والمآلات

أسباب التعصب:

إن الطعن والتقبيح في مساق الرد أو الترجيح ربما أدى إلى الغلو والانحراف في المذاهب، فيكون ذلك سبب إثارة الأحقاد الناشئة عن التقبيح الصادر بين المختلفين في معارض الترجيح والمحاجة. قال الغزالي في بعض كتبه، فيما نقلته عنه د. نوَّار بن الشلي: " أكثر الجهالة إنما رسخت في قلوب العوام بتعصب جماعة من جهال أهل الحق، أظهروا الحق في معرض التحدي والإدلاء، ونظروا إلى ضعفاء الخصوم بعين التحقير والازدراء، فثارت من بواطنهم دواعي المعاندة والمخالفة، ورسخت في قلوبهم الاعتقادات الباطلة، وتعذر على العلماء المتلطفين محوها مع ظهور فسادها، حتى انتهي التعصب بطائفة إلى أن اعتقدوا أن الحروف التي نطقوا بها في الحال بعد السكوت عنها طول العمر قديمة. ولولا استيلاء الشيطان بواسطة العناد والتعصب للأهواء لما وجد مثل هذا الاعتقاد مستقرا في قلب مجنون فضلا عن قلب عاقل". وقديماً قالوا: كفي المرء نبلاً أن تُعد معايبه. (٥٨).

والتعصب يأتي ثمرة للجهل وعدم العلم؛ لأن التعصب يتناسب طرداً مع قلة العلم والمعرفة، فانفتاح العالم، وحقبة العولمة، ومعاهدات الشراكة على المستويات السياسية والاقتصادية والمعلوماتية، هنا وهناك، تتطلب وجوداً أو حضوراً، ويشكل فرصاً يمكن

التقاطها والإفادة منها، إذا كنا بمستوى قيمنا وتراثنا وإسلامنا، وعصرنا، ذلك أن انتشار الإسلام وظهوره امتد تاريخياً في فترات السلم والأمن والحرية أكثر من فترات العنف والمواجهة التي لم تأت بخير. وبدلاً من أن يكون الحوار حلاً لمشكلة التجافي والتباعد وعدم التفاهم وتوسيع دائرة المشترك وتفكيك التعصب والتحزب، يصبح مشكلة يساهم سلبياً في تصليب التعصب والانغلاق والتحزب والتشرنق، ويتحول لتسويغ وتأجيج المواجهة والصراع.

يقول الدكتور عبد الكريم بكار: "إنني أعشق المقارنة، لأنه ثبت لي أنها تكسر حدة التعصب، كما أنها تزيل عن الأعين الكثير من الغشاوات، وعن العقول الكثير من الأوهام". (٥٩). والناس كلما عرفوا أكثر وأكثر عن بعضهم خفت حدة التعصب لديهم. إن التعليم هو أعدى أعداء التعصب. وكثيرا ما يكون الاتباع أكثر تعصبا لنظرية أستاذهم من الأستاذ نفسه.

إن التعصب سبب لترسيخ العقائد في النفوس، وهو من آفات علماء السوء، فإنهم يبالغون في التعصب للحق وينظرون إلى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار فتنبعث منهم الدعاوى بالمكافأة والمقابلة والمعاملة. وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل، ويقوى غرضهم في التمسك بما نسبوا إليه، ولو جاءوا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة لا في معرض التعصب والتحقير لأنجحوا فيه. ولكن لمّا كان الجاه لا يقوم إلا بالاستتباع، ولا يستميل الاتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم، وسموه ذبا عن الدين ونضالا عن المسلمين. وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة في النفوس. (٦٠).

كما أن العرض الأحادي للمسائل دون مقارنة أو نقد يكوِّن عقلية البعد الواحد، وينشر روح التعصب والتحزب. (٦١).

وكثيرا ما يتعصب شعب أو فرد لماضيه نتيجة لسوء الواقع، فالأصالة والعراقة وأمجاد الآباء والأجداد هي أنشودة العالم الثالث اليوم. (٦٢). والتعصب للرأي واتهام المخالف، من أشد ما يصرف اهتمامات الناس عن الحوار. (٦٣). وكلما كان الإنسان أكثر انعزالا كان أكثر تعصبا وأضيق ذهنا. (٦٤). والأنانية ليست حبا أبدا، إنها تعصب وانطواء وغرور بينما يتضمن الحب دائما التسامح والإيثار والفهم. والحب الإنساني الذي يقف عند حدود الوطن، لا

يكون في حقيقته حبا بل تعصبا. (٦٥).

التعصب والدين:

الفكر المأزوم مشوش بفعل التعصب، مما يعني صعوبة الإصلاح، بسبب تترس أخطائنا بالدين، واختلاط الأمر لدينا بين الثبات على الحق، وبين الجمود على الرأي المجرد، ومن مظاهر هذا الفكر تدافع وتبادل التهم، وانتقائية أو جزئية في الطرح والتقييم والتفكير، وقطيعة في غير موضعها. (٦٦). وكثيرا ما يغلف التعصب والانتماء غير المعقول بغشاوة من المعقولية، فيتحول إلى حقيقة في الظاهر، ثم مع تكرارها يصبح حقيقة مطلقة، لا يستطيع أحد أن يردها، وإن فعل وُسِمَ بالجهل والتعنت. (٦٧).

إن الذي يفرض عقيدته على مخالفيها بقوة العنف يعتقد اعتقادا راسخا أنه يرغمه على الهدى والخير. وحتى إذا أباده فهو قضى على الكفر والشرك ومحق الشر، وقمعُ المخالفين عند (أوغسطين) حلال بل واجب، وإذا قامت به الكنيسة، فهو قمع عادل، أما قمع من يسميهم الكفار لأبناء الكنيسة كالذي تعرض له الحواريون فهو جائر وظالم. يقول أوغسطين: "إن هناك قمعا ظالما هو قمع الكفار لكنيسة المسيح، وقمعا عادلا هو قمع كنائس المسيح للكفار، فالكنيسة تقمع بمحبة، والكفار في قمعهم لأبناء الكنيسة وحشي". ولا ندري كيف يكون القمع بمحبة؟ (٦٨).

والتدين يجب أن يرافقه وعي، وإلا أصبح هوسا وتعصبا مرعبا. ولنثق كل الثقة بأنه كلما ضعف إيمان الإنسان، وتلاشي، زاد تعصبه، وكذلك كلما زاد جهله زاد تعصبه، وينطبق هذا على المثقف والجاهل. والإمام أبو حنيفة كان تاجرا في السوق مما جعل آراءه الفقهية قريبة من واقع الناس المُعاش، وهو ما انعكس على معظم تلاميذ الإمام، وعلى كل من تبنى المدرسة الفقهية الحنفية. (٦٩). والذي أراه (والكلام للشيخ محمد الغزالي) " أن التعصب المذهبي مرض نفسي أو أنانية خاصة أكثر مما هو حماسة دينية ومصلحة عامة". (٧٠).

التعصب والتطرف:

من الطبيعي كما يشير إلى ذلك د. أمين معلوف أن يبرز في كل جماعة مضطهدة محرضون يتميزون بشراستهم أو انتهازيتهم، فيروجون خطابا متشددا ينكأ الجراح، ويعتبرون أنه لا يجب استجداء احترام الآخرين، لأن هذا الاحترام حق مكتسب، بل يجب فرض هذا الاحترام على الغير. (٧١)..

إن التعصب نادى القوم فاجتمعوا
يوما و أيقظ فيهم نائم الفتن
أفنوا خيارهم قتلا وتهلكة
وصيروا الجهل فوق الدين والوطن

وقد أورد الدكتور جعفر شيخ إدريس واحدة من تجاربه في الغرب المتعصب العنصري، وكانت هذه التجربة صادمة له، ومفاد هذه التجربة أنه ناقشت أحد الشباب الأمريكان، وكانوا جميعا طلاب دراسات عليا في جامعة لندن، ناقشه في مسألة فلسفية فيها شيء من التعقيد، ففاجأه في نهاية المناقشة بأن قال له: أحب أن أعترف لك بشيء، قلت: ما هو؟ قال: لم أكن أظن أن أناسا من أمثالكم يمكن أن يكون لهم مثل هذا الفكر. (٧٢). وهذا يعزز ما قاله الشيخ على الطنطاوي عن الغرب، من أن "النصارى متعصبون ويظهرون التسامح، ونحن المسلمون متسامحون بل متساهلون، ونظهر أحيانا التعصب". (٧٣).

سيكولوجية المتعصب:

حين يكون المرء متعصبا لا يكتفي بأن ينطوي على ذاته وينسب إليها كل الفضائل، بل ينبغي

أن يستبعد فضائل الآخرين وينكرها ويهاجمها، بل إنه في حالة التعصب لا يهتدي إلى ذاته، ولا يكتشف مزاياها إلا من خلال إنكار مزايا الآخرين. وهذا هو الفرق بين التعصب وبين الاعتداد بالنفس، الذي هو شعور مشروع، إذ أن الاعتداد بنفسه لا يبني تمجيده لنفسه، حتما، على أنقاض الآخرين، بل قد يعترف لهم بالفضل مع تأكيده لفضله هو أيضا، أما المتعصب فلا يؤكد ذاته إلا من خلال هدم الغير، ولا فارق عنده بين هذه العملية وتلك، لأنه يهدم غيره وليس في ذهنه إلا تأكيد ذاته، كما أنه لا يؤكد ذاته إلا مستهدفا الحط من الآخرين. (٧٤). وقد انطلقت ألسنة المتعصبين فيمن خالفهم حتى تكتمل محاسن من أحبوهم، وتعصبوا لهم من أئمتهم. وجرح العلماء حين يجد له مساغا يكون في غاية القسوة، لأنهم أعرف بالمقاتل، وأقدر على تسديد السهام، وأدرى بمخاتل الخصوم. (٧٥).

والمتعصب، في واقع الأمر، يمحو شخصيته وفرديته، ويذيب عقله أو وجدانه في الجماعة التي ينتمي إليها، بحيث لا يحس بنفسه إلا من حيث هو جزء من هذه الجماعة. ولو كان يؤكد نفسه بوصفه فردا له شخصيته المميزة لما أصبح متعصبا. فالتعصب يلغي التفكير الحر والقدرة على التساؤل والنقد، ويشجع قيم الخضوع والطاعة والاندماج، وهي قيم قد تصلح في أي مجال ما عدا مجال الفكر. وهذا يؤدي بنا إلى صفة أخرى أساسية في التعصب، هي أنه ليس موقفا تختاره بنفسك، بل موقف (تجد نفسك فيه). ولو شاء المرء الدقة لقال: إن التعصب هو الذي يفرض نفسه على الإنسان، وهو أشبه بالجو الخانق الذي لا نملك مع ذلك إلا أن نتنفسه. (٧٦).

والتعصب يمثل حاجة لدى الإنسان إلى رأي يحتمي به، ويعفي نفسه من التفكير في ظله. والواقع أن الحماية هنا متبادلة: فالرأي الذي نتعصب له يحمينا، لأنه يؤدي إلى نوع من الهدوء أو الاستقرار النفسي، ويضع حدا لتلك المعركة القلقة التي تنشب في نفوسنا حين نستخدم عقولنا بطريقة نقدية. ولكننا من جهة أخرى نضمن الحماية لهذا الرأي ذاته عن طريق رفض كل رأي مخالف ومهاجمته بعنف، والسعي إلى) تصفيته) بالمعنى الحاسم لهذا اللفظ، وإذن فكل من المتعصب ورأيه أو عقيدته يحمي الآخر. وعلى الرغم من وضوح هذه الفكرة فان الإنسانية عاشت على ما تعتقد أنه (حقائق) ذاتية تتعصب لها بلا تفكير، فترة أطول بكثير مما عاشت على حقائق موضوعية تتناقش فيها بالحجة والبرهان. بل إن عدد أولئك الذين يقتنعون بآراء ومواقف يتعصبون لها دون نقد أو اختيار، في عالمنا المعاصر، يفوق بكثير عدد أولئك الذين لا يقبلون الرأي إلا بعد أن اختاره بالعقل. (٧٧).

والمتعصب سواء أكان يمينيا محافظا أو يساريا تقدميا، أو متطرفا دينيا، يرى نفسه الصانع الوحيد للتاريخ ومحركه ومالكه، ويعمل على فرض قناعاته على الأكثرية وتحويلها إلى قطعان بشرية مجردة من التفكير. والاختلاف الوحيد بين المتعصب المحافظ والمتعصب اليساري هو أن الأول يرغب في إيقاف حركة التاريخ بينما يحلم الثاني في تسريعها وتوجيهها بما يخالف سنن التاريخ وقوانين الاجتماع الإنساني. والمتعصب لا يهتم بالشعب إلا باعتباره أداة لتنفيذ أهدافه. وهو يخاطب الشعب بالعواطف والبلاغة اللغوية، ويحشدهم بالدعاية والإثارة لتحقيق رغباته، والمفروض . عند المتعصب . أن جماهير الشعب لا تفكر وإنما يفكر لهم إنسان آخر، يعيشون كالأطفال تحت حمايته وسلطانه. لذلك لا يستطيع المتعصبون .سواء كانوا محافظين أو يساريين أم متطرفين دينيين .القيام بحركة تحرير حقيقية لأنهم أنفسهم ليسوا أحرارا. (٧٨).

وعادة المتعصبين والمحرضين، أنهم يحرصون على حشد وتجميع الآيات القرآنية، التي تشرح الحقائق النفسية والعقائدية المتعلقة بالمخالف، ويتغافلون عن بسط وشرح الآيات التي تتحدث عن حقوق الآخر المخالف، ووجوب البر والقسط به. إن "المتعصب أعمى لا يعرف أعلى الوادي من أسفله، ولا يستطيع أن يميز الحق من الباطل، وقد يتحول المتعصب بالحرارة نفسها والقوة نفسها من محب إلى مبغض". (٧٩). ومثال المتحيز، يشبه شخصا

HEKMAH YEMANYA

يعيش وحده في بيت من المرايا، فلا يرى فيها غير شخصه، أينما ذهب يمنة أو يسرة، وكذلك المتعصب لا يرى .رغم كثرة الآراء .غير رأيه، فهو مغلق على وجهة نظره وحدها، ولا يفتح عقله لوجهة نظر سواها، يزعم أنه الأذكى عقلا، والأوسع علماء، والأقوى دليلا، وإن لم يكن لديه عقل يبدع، ولا علم يشبع، ولا دليل يقنع.

يقول أصحاب مسيلمة الكذاب: والله إننا لنعلم أن مسيلمة كذاب، ولكن كاذب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر. وهذا أوضح مثال عن التعصب الأعمى، يسيرون في جيش كذاب يعلمون أنه كذاب لأنه من قبيلتهم، ليحاربوا جيش نبي يعلمون أنه نبي لأنه ليس من قبيلتهم.
والمتعصب إنسان لا يمكنه تغيير رأيه، ولا يريد . أيضا . تغيير الموضوع. والمتعصب شخص غارق في أهوائه وعواطفه، على مقدار ضعفه في استخدام عقله. و"المتعصب لا يدري أنه متعصب؛ لأنه لا يقرأ دوافعه جيدا، وهو يرى تعصب الآخرين الذي هو عنده (كالشمس في رابعة النهار)! أما تعصبه هو، فهو تمسك وثبات وحرص على الحق والتزام بالدليل". (٨٠).
والتربية على التعصب ونقد ما عند الآخرين باستمرار؛ يكسب عقل المتربي غالبا صفة طرد الأفكار الجديدة - قبل التأمل فيها - ولو كانت صحيحة وجادة؛ خشية التأثر بها؛ فيؤدي به هذا المسلك إلى ركود عقله وضحالة فكره! و"إنسان القرن الحادي والعشرين مع أنه يتحدث باستفاضة عن العولمة والقرية الكونية إلا أن لديه انجذابا هائلا نحو الإقليمية والعنصرية والطائفية". وفق تعبير الدكتور عبد الكريم بكار. (٨١).

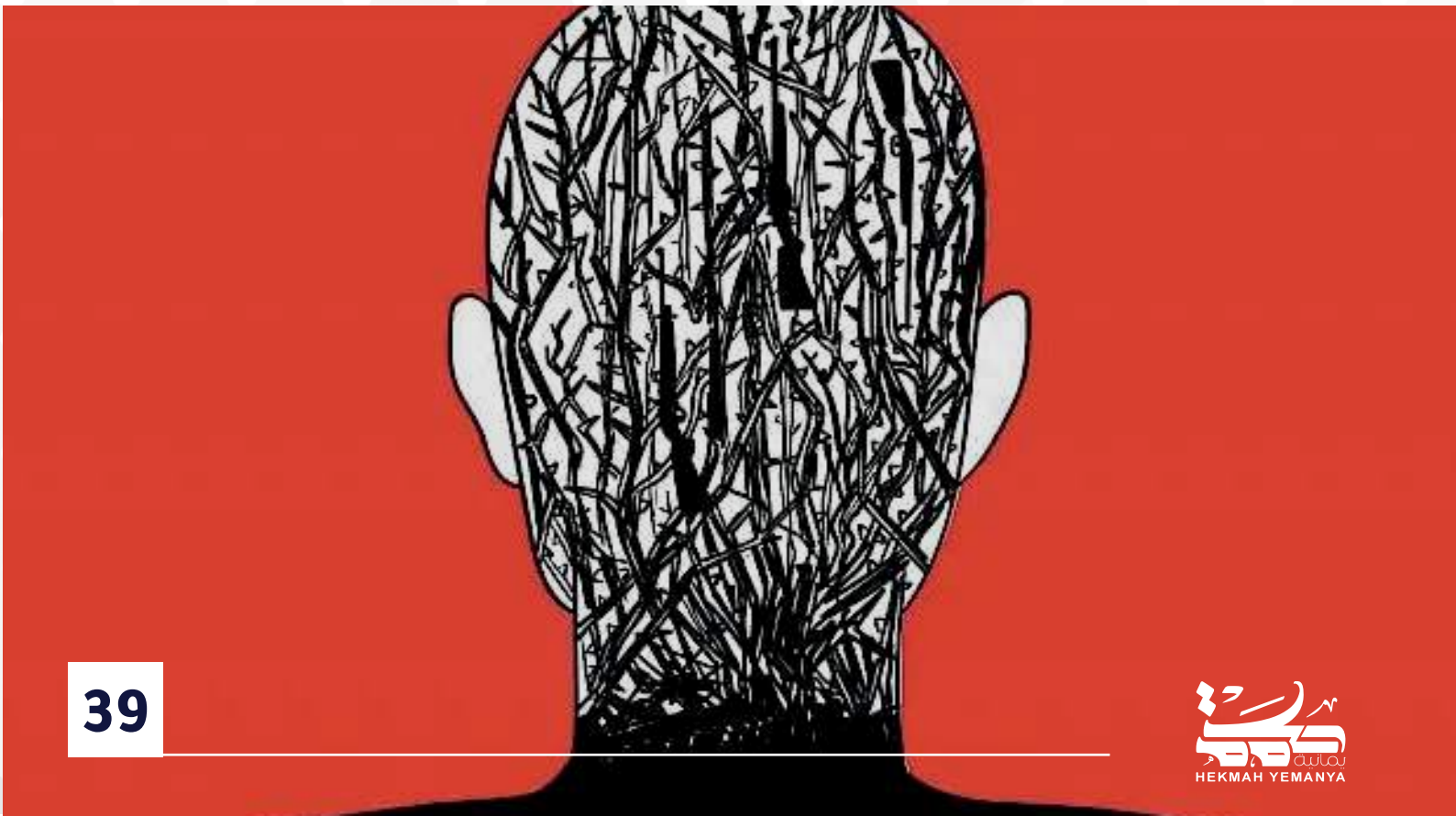

نتائج التعصب:

لقد أدى التعصب الطائفي والمذهبي المقيت إلى زرع الخلاف والشقاق بين أبناء الأمة، وتفتيت وحدتها، وتقسيمها إلى أمم متخاصمة تتقاتل وتتنازع، فاستغل العدو المتربص بها هذا الانقسام والفوضى، فبسط سيطرته عليها وأمعن في إذلالها وقهرها، وكان السبب المباشر في كل هذا انعدام المنهجية الصحيحة للحوار بين أبناء الأمة الواحدة، ذلك أن الحوار بين الفرق والمذاهب الإسلامية لا يكاد يبدأ جدالاً بالتي هي أحسن حتى تتسلل إليه الحدة والشدة، وتستولي عليه روح الضيق بالمخالفين والمسارعة إلى اتهامهم في أفكارهم ونياتهم وأخذهم بالشبهة وسوء الظن.

خاصة وأن داء التعصب لا يقف عند حد، إنما يسري حتى ضمن الحزبية الواحدة والطائفة الواحدة والعنصرية الواحدة، لأنه داء سار كالنيران التي تأكل بعضها، إن لم تجد ما تأكله، فهو لا يتوقف عند حدود؛ وتصبح فتوى التكفير والتفسيق والارتداد والانحراف... جاهزة ومسبقة الصنع، وتُستباح الدماء والأعراض في أحيان كثيرة، باسم مصلحة الدعوة، ويستسهل الإقدام على الكذب ليصبح كذباً في سبيل الله، وتستباح المحرمات وتنتهك الأعراض لضرورة الدعوة، وانتصاراً للإسلام، وقد يصبح المشرك أكثر قرباً من المخالف بالرأي، وتسوغ الكثير من التصرفات بالنصوص، التي تنزَّل على غير محلها، ويكثر الأنبياء الكذبة، أو الفقهاء المرتزقة، أو المثقفون من خونة الحقيقة، ويمكن أن يدّعى الإجماع، الذي لا وجود له إلا في ذهن قائله، لمسائل فقهية وتفسيرية كثيرة، حتى يعتبر الخارج عليها خارجاً عن الطاعة مفارقاً للجماعة، مستباح الدم. (٨٢).

إن العلاقات بين المذاهب انتهى بها المطاف في صورتها المعاصرة إلى اتجاهات ثلاثة (٨٣):

الاتجاه الأول: يرى العودة إلى "اللامذهبية" التي كان عليها مسلمو العصر الأول، فلم تكن المذاهب إلا قيدًا على النص، وأصبحت عند المتأخرين التزامًا بمذهب لا ينبغي الخروج عليه، وإلزامًا برأي راجح أو مرجوح لا ينبغي اختيار غيره من مذهب آخر، ورأى هذا الاتجاه أن التمذهب بدعة، والتمسك به ضلالة. وهذا الاتجاه قرأ العقل الفقهي قراءة خاطئة، فالعقل الفقهي بنى على تعددية الآراء، وتباين في المناهج، وليس من مصلحة أحد هدم البناء الفقهي .وهو رصيد وثروة لا توجد عند أية أمة .تحت وهم الرجوع المباشر إلى الكتاب والسنة، وهي

عودة لا تنهي الخلاف ولا تمنع من الاختلاف الذي هو من طبيعة الحياة العقلية في الإنسان.

الاتجاه الثاني: يريد إسلامًا بلا مذاهب، وهو يختلف عن الاتجاه الأول، لأنه يدعو إلى البدء في حركة توحيد بين المذاهب واسعة النطاق تبدأ بتوحيد المذاهب السنية، ثم المذاهب الشيعية ثم توحيد المذاهب الشيعية المعتدلة مع المذاهب السنية، ثم توحيد بقية المذاهب كالدرزية والإسماعيلية وغيرها، وهو اتجاه يحسب له حسن نيته، واستهدافه وحدة المسلمين، ولكنه محاولة ساذجة، فالأبنية الفقهية ليست ثقافة عامة، وليست عقلاً جمعيًا، وإنما هي بناء كلي متماسك له مصادره وقواعده، وله مناهجه وأساليبه، وتذويب المذاهب على هذا النحو يعني التضحية بالرصيد المذخور من تراثنا العقلي مقابل وهم اسمه الوحدة الثقافية.

الاتجاه الثالث: الذي يتبنى التعددية المذهبية في مجال التفكير، ويحاول الحد منها في مجال التطبيق.

والتعصب له خطره العظيم في تاريخ المسلمين، فكم هدم من أمم ودول ومدن؟ وكم أحدث من فتن وصراعات وقتال؟! والتعصب حين يطول أمده، فإنه يؤثر في الشخصية تأثيرا بالغا، إنه يصبح عبارة عن مصنع للنظارات التي يرى المتعصب الأشياء من خلالها. والأفكار الإقصائية والمتعصبة عندما تتوفر لها حاضنة اجتماعية تنتج تشنجا ومع تطورها وحماسة المتعصبين لها وتوفير الدعم المحلي والإقليمي لدعاتها يصبح انزلاق الشعوب نحو الاحتراب الأهلي أمرا متحقق وواقعا ملموسا. و"الفتنة والتعصب ليست فكرا يستحق التنظير والكتابة، لأن الاستغراق في اعتبار الفتنة فكرا، يعطي لها قيمة ووزنا وشأنا أكبر من حقيقتها، فالفتنة ما هي إلا رد فعل اجتماعي لحدث يقع". (٨٤). وعندما ترى أن الحوار. حول قضية ما . يتجه إلى التعصب والاحتقان... حاول أن تخرج منه بهدوء، فبعد قليل سيبدأ تبادل الشتائم.

التعصب الطائفي ... مقاربة في التشخيص والعلاج (٥)
كيف نتخلص من التعصب الطائفي؟!

الفرق بين التعصب والالتزام:

الفارق بين التعصب والالتزام أن الأخير انحياز إلى قطعيات لا تقبل الجدل، أو مبادئ عامة وقع الإجماع عليها. وبصورة عامة فإن الالتزام يكون بما علا على دوائر الاجتهاد، كما يكون التعصب - عادة - فيما يقبل النظر والتأمل. وكلما كان عدد الجزئيات التي عزم المتعصب الدفاع عنها كثيرا كانت مخاطرته أكبر، وكان تعصبه أشد. (٨٥). وفرق بين أن تحترم الآخرين وتقدرهم وأن تتعصب لهم.

والتعصب المذهبي إن كان بناء على قناعة مطلقة في قضية بأنها الحق، وبالتالي أن يتمسك بها صاحبها قولا وعملا، ويدافع عنها بمنطق الحق والعدل لا بمنطق الهوى، وبمنطق الإخلاص لا بدافع دنيوي، وبروح الأخوة الإسلامية لا بروح الفرقة الكافرة، فذلك لا حرج فيه، بل ذلك الذي عليه الصحابة رضوان الله عليهم، ولكن أي يضيّق الإنسان واسعا، بأن يسفّه من ليس على رأيه، ويضللهم ويجهلهم، في قضية للاجتهاد فيها محل، فذلك الخطأ كل الخطأ. (٨٦).

إن التعايش لا يعني ترك رأيك الخاص الفردي، فضلا عن عقيدتك ودينك، فالرأي الذاتي هو جزء من شخصية المرء، ولا يملك أحد أن يطالب الآخرين بتغييره أو مخالفته، إلا أنه

يبقى في النهاية مجرد رأي شخصي، والمطلوب هو التخلي عن التعصب المحتقن، والانفعال الجاري في غير قناته، وإحلال الحوار والدعوة بالتي هي أحسن محله، فالتعايش ترك التعصب للرأي والإكراه فيه، لا ترك الرأي نفسه أو المساومة عليه، وبين هذا وذاك بون شاسع. (٨٧). إن التخلص من آفة التعصب هو الطريق الوحيد لإدراك فضل الغير، ومعرفة مزية المخالف، والوقوف على وجوه إحسانه حيث يحسن، ووضع إساءته في موضعها الصحيح، بغير زيادة ولا نقصان.

علاج التعصب:

ليست المشكلة في الاختلاف في الرأي بقدر ما هي في التعصب للرأي الواحد مع إنكار غيره، وهنا يحتاج الباحث إلى أن يتعلم أدب الخلاف ما دام الوفاق متعذرًا من الناحية العلمية. ولقد كان الفقهاء من أئمة المذاهب يختلفون فلا ينكر بعضهم على بعض، وكانوا يصوبون المصيب، ويستغفرون للمخطئ، ويحسن الظن بالجميع، ويسلمون بقضاء القضاة على أي مذهب كانوا، ويعمل القضاة بخلاف مذاهبهم عند الحاجة من غير إحساس بالحرج...، وكثيرًا ما كانوا يصدرون اختياراتهم بنحو قولهم: هذا أحوط أو أحسن، أو هذا ما ينبغي، أو نكره هذا، أو لا يعجبني، فلا تضييق ولا اتهام ولا حجر على رأي.

ذلك أن الاختلاف في الفروع ضروري، ويكون محمودا إذا استند إلى دليل وخلا من التعصب، فإذا صادفه هوى، وتحكم فيه التعصب فيكون عندئذ مذموما. فهذه العاطفة التي تدفع الفرد للاصطدام بالواقع نتيجة لهوى في نفسه، تجعله أيضا يفقد عناصر التمييز فلا يرى سوى رأيه، ولا يسمع إلا صوت نفسه، وهذا مذموم ويودي بصاحبه مورد الخطأ، فالعاطفة إذا سيطرت على العقل أفقدته تقويم الأمور، والحكم بها من أسباب التدهور وعدم الحكم السليم.

ولا نريد أن نتخفى وراء شعار التقريب، حسب تعبير الدكتور محمد كمال الدين إمام، لنهوّن من شأن الخلاف، ونقلل من خطورة التعصب المذهبي، ولا نريد أيضًا أن نتكئ على العوامل الخارجية لتفسير خلاف اتسعت شقته، وأمتد قرونًا تكاد تستوعب تاريخ الإسلام كله، فالخلاف بين الشيعة والسنة أمر واقع، والخلاف بين الشيعة والشيعة أمر واقع، والخلاف

بين السنة والسنة أمر واقع، وهو في جانب منه مركوز في بنية معرفية اعتُبرت من الدين، أو في ذهنية ثقافية "شخصنت" الفقه بقدر بعدها عن الأدلة، ولا يتعلق الأمر بقضية "إمامة" مغلوبة أو خلافة مغصوبة، فقد غابت الإمامة، وسقطت الخلافة وبقى النزاع على أشده. (٨٨).

ولقد جمع القرآن بين أمرين يظنهما كثير من الناس متناقضين لا يجتمعان: الاعتزاز بالدين إلى أقصى حد، والسماحة في التعامل مع المخالف في الدين إلى أقصى حد كذلك: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ {فصلت: ٣٣} ، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ* لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ* وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ* وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ* وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ* لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ {الكافرون: ١-٦}، ففي آية "فصلت" اعتزاز بالإسلام ومباهاة به وبالانتماء له وبالعمل له وبه، وفي آيات "الكافرون" تكرار وتوكيد مقصود لتثبيت النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على دينهم، والتشبث به، والاعتزاز به إلى آخر مدى، ثم يختم هذه الآيات بسماحة عجيبة، وحسم صارم معاً:﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ أي: لا خلط بين الأديان، لا خلط بين الحق والباطل، لك شأنك ولي شأني، أي: أن الحياة تتسع لي ولكم وإن اختلفت أدياننا، لكنَّ المشركين المتعصبين قالوا له بلسان الحال: لا، لنا ديننا وليس لك دينك! وهذا هو التعصب بعينه، أن تثبت نفسك، وتنفي من عداك. (٨٩).

ولكون التعصب مشكلة راسخة في أعماق العربي غالبًا، فإن أولى خطوات الحل هو التفطن لهذه العادة الثقافية، التي رسخها الفراغ السياسي، وغياب الأنظمة الواضحة، ونقص العدالة، مما جعل كثيرين يلجؤون للاستعانة بانتماءاتهم القبلية أو العائلية أو المذهبية أو الطائفية. والنقد الذاتي يخفف ويقلل من حدة التعصب، ويقلل من إمكانية استغلال العواطف والمتاجرة بها، لكن هذا يحتاج إلى قدر كبير من الإخلاص والشجاعة الأدبية والرؤية الموضوعية. والمرونة الذهنية وعدم الحسم في المسائل المحتملة تمنحك وقتًا للمزيد من البحث ومحاورة الآخرين، وتحميك من التعصب للنتيجة التي حصلت عليها وكنت تظن بأنها نهائية، وهي ليست كذلك!

ورأي الإسلام لإنشاء الفكر الحر البعيد عن التعصب والغلو، هو أن ينشأ في الإنسان العقل الاستدلالي، الذي لا يقبل فكرة دون بحث، ولا يؤمن بعقيدة ما لم تحصل على برهان، ليكون هذا العقل الواعي ضمانا للحرية الفكرية، وعاصما للإنسان من التفريط فيها بدافع من التقليد أو التعصب، أو الركون إلى الخرافة. (٩٠). بمعنى آخر، أن يقرأ الإنسان في غير خضوع، ويفكر في غير غرور، ويقتنع في غير تعصب، فالإيمان القوي الرشيد يحمي نفسه بالتسامح والفهم، بينما يبحث الإيمان الضعيف المهلهل عن سناء من التعصب والجهل. (٩١). وإذا كان الخلاف أمراً واقعاً، وضرورة خلقية، فإنه لا يحدث الفرقة ما دام منضبطاً بميزان الشرع، بل إن الذي يحدث الفرقة هو بطر الحق، والتعصب للرأي، والاستعلاء على الآخرين. (٩٢).

صوت الحكمة:

إن الناس مختلفون، هكذا خلقهم الله. وهكذا يريدهم الله أن يبقوا مختلفين. ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ* إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ {هود: ١١٨-١١٩}. فالاختلاف ليس مشكلة في حد ذاته، بل تغييب ثقافة احترام الاختلاف هي المشكلة. وفي كل مجتمع حكماء يحسنون تقدير الأمور، ويجيدون وزنها، ويتقنون فنون إدارة طوائفهم إذا ما اتيحت لهم الفرصة، ولكنهم تارة يَغيبون، وأخرى يُغيبون، يُغيبون إذا علت أصوات البنادق ودقت طبول الحرب

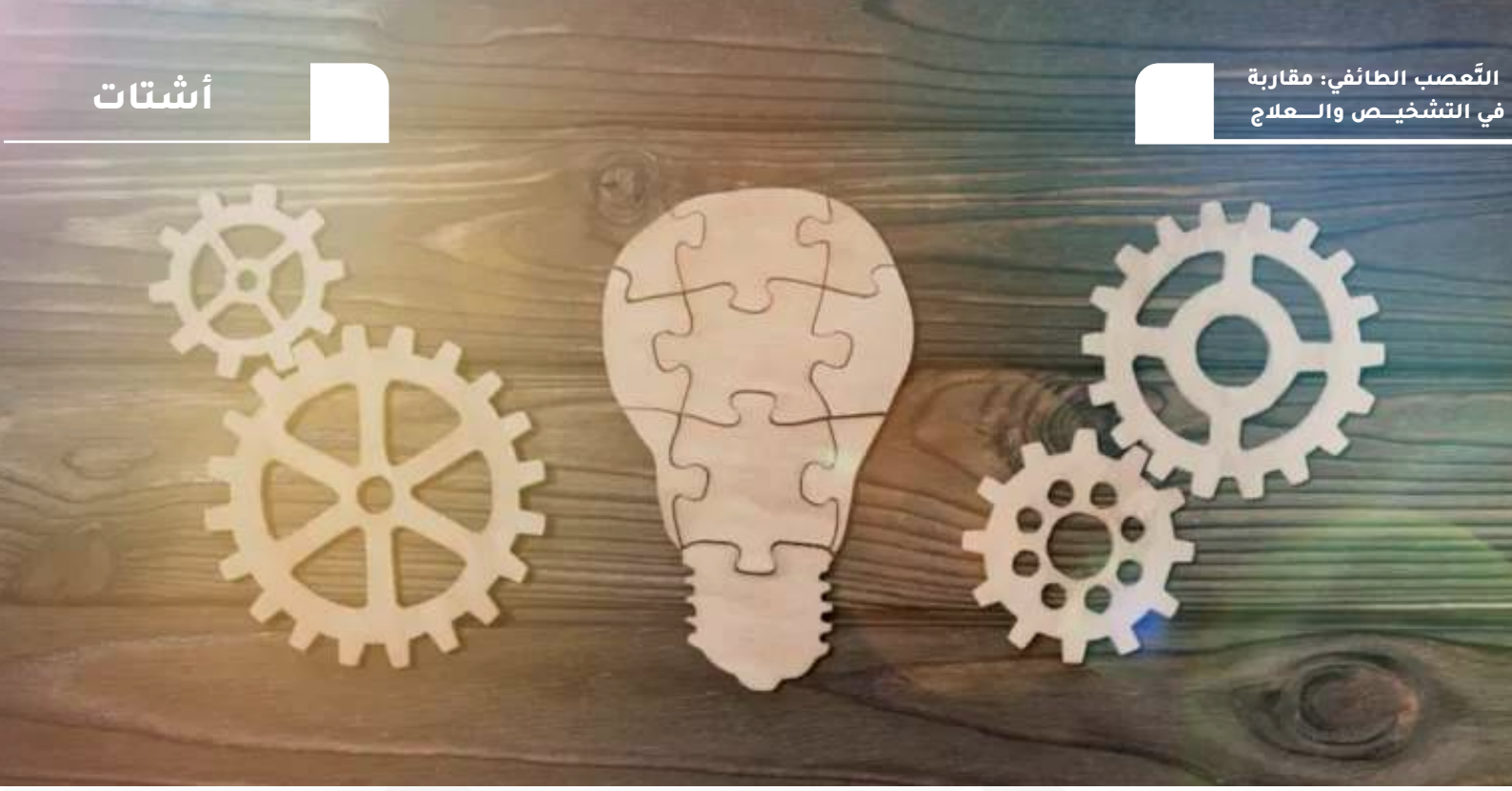

الإعلامية، ويَغيبون عندما لا يجدون أحياء يستمعون لصوت الحكمة، فكما ليس بالضرورة أن كل صوت يعلو ويسود قد يعرف طريق الحكمة، كذلك ليس بالضرورة أن كل من يعرف طريق الحكمة له حظ من التأثير والحضور. وليس الصمت دائما من الحكمة، بل قد يتحول الصمت إلى مقتلة لصاحبه ومجتمعه. (٩٣). وما كل الأفكار مقيض لها أن تتجاوز النخبة إلى المجال العام.

ومع علمنا أن الطائفية هي مسألة نفوس، قبل أن تكون مسألة نصوص، إلا أنه لا بد لنا من معرفة الطائفية في كل أبعادها وتاريخها وأهدافها، باعتبار أن حل المسألة الطائفية ليس بالأمر السهل، وانطلاقتنا تبدأ بنقد الفكر الطائفي والمذهبي والنزعة الطائفية، وعدم استغلال الدين في السياسة أو السياسة في الدين، لأن المسألة ليست في الطائفية أولا، إنما في السياسة التي هي الأصل والحل إذا اعتبرنا السياسة هي فن إدارة الاختلاف. (٩٤). والتسامح ليس تنازلا متعاليا، كما يعتقد البعض، بل هو اعتراف متبادل بالحق في الاختلاف، وتعايش الآراء والمعتقدات المتمايزة بناء على الاعتراف المتبادل.

إن الفكر ليس منحبسا في منطق (إما أبيض وإما أسود)، فهناك بين الأبيض والأسود ألوان طيف متعددة، ومن ثم فإن التمسك والانغلاق داخل منطق (إما... أو) الضيق يعبر عن "تعصب" لا عقلاني، يرفع سيف الإرهاب الفكري، والاغتيال المعنوي!! كما يجب ألا نكتفى بتتبع الأفكار المعيبة والممارسات غير السوية التي تصدر عن العقل البشرى سواء كان فردياً أم جميعاً (من قبيل القول بالتميز العرقي، والتكفير والاستباحة، والتميز الطبقي،

والتعصب الطائفي، والتحزب الفكري، وتبديل الانتماءات) لإصلاحها، بل يجب أن نكثف جهودنا أيضاً لفحص مصنع تلك الأفكار (العقل)، للوقوف على أوجه الخلل فيه سواء كانت تتصل بأساليب إنتاج تلك الأفكار، أو معايير مراقبة صلاحيتها، فضلاً عن أوجه القصور التي تكتنف منهجية البحث، وهى العملية التي يتم بموجبها توظيف النشاط العقلي والقواعد والمعايير التي تحكم حركته، في الحصول على المعارف المستحدثة وابتكار الأفكار الجديدة.

لقد اعترف أمين معلوف بتفرد التجربة التاريخية الإسلامية في هذا المضمار، بتجردٍ ونزاهة قلَّ أن نجد لهما نظيرا في الخطاب القومي والطائفي المتشنج اليوم، فكتب يقول: "لو كان أجدادي مسلمين في بلد فتحته الجيوش المسيحية، بدلا من كونهم مسيحيين في بلد فتحته الجيوش المسلمة، لا أظن أنهم كانوا استطاعوا الاستمرار في العيش لمدة أربعة عشر قرنا في مدنهم وقراهم محتفظين بعقيدتهم. ماذا حدث فعليا لمسلمي إسبانيا وصقلية؟ لقد اختفوا عن آخرهم، ذُبحوا أو هُجِّروا أو تم تعميدهم بالقوة. يوجد في تاريخ الإسلام - ومنذ بداياته- قدرة مميزة على التعايش مع الآخر." (٩٥). وهناك تخوم للتسامح في كل مجتمع لا يمكن تعديها، فلا يمكن أن نتسامح . مثلاً . مع التعصب الطائفي أو العنصري لأنه يشعل الفتن والحروب الأهلية داخل المجتمع. وقبل أن يكون التسامح حركة توجهنا نحو الآخر، فهو حركة تبعدنا عن ذواتنا، فتحول بينها وبين كل أشكال الإعجاب بذاتها من سباحة في اليقينيات، وتعصب لآراء، وتشبّث بأفكار، وتعلق بنماذج بعينها. (٩٦).

علينا تجاوز مرحلة المراهقة الفكرية والعلمية، وتجاوز التعصب الحضاري أيضا، فكل المحاولات تفشل لأننا لا نرى حلا غير المستورد، وكل المحاولات تفشل أيضا لأننا إذا تصورنا أن كل ما لدى الآخر خطأ وشر يجب الابتعاد عنه، ولذلك فالبداية هي تحديد موقفنا من الآخر، وهو موقف يحتاج إلى قبول الآخر كتجربة بشرية ناجحة دون الانبهار به، والاستفادة منه دون الاستيراد عنه، ومتابعة أعماله دون التعبد في محرابه، ومن هذا الموقف الجدلي مع الآخر نستطيع أن نتعلم منه، دون أن نصبح مثله، ونستطيع أن نحاوره دون أن نشعر بالدونية، ومن التعلم والاستفادة الندية والنقدية، يمكن أن نبدأ الطريق الذي بدأ بالفعل، باستيعاب ما وصل إليه الآخرون، حتى نبدأ من النقطة التالية لهم. (٩٧).

إن قوة المثقف وأثره الفاعل تكمن في تلك الحالة من الحرية الحقيقية التي تتمتع بها ذاتيته

HEKMAH YEMANYA

الثقافية، التي لم تأسرها العبودية للمضمون الثقافي، ولم تأسرها التبعية الهزيلة لمقروءات ومسموعات الإنتاج البشري واجتهاداتهم، فاستسلم لها خاضعا ذليلا، لأنه يؤكد بذلك أنه لا يملك فكرا وإبداعا متميزا، فقوة المثقف في قوة فكره وطرحه ومعالجاته وتناولاته وتعاطيه مع الواقع، في معزل عن تلك الصنمية الخفية التي ربما صنعت له تراكمه الثقافي وخلفيته التعصبية، الموروثة والمكتسبة، من بيئاته التي ترعرع فيها، ففي اللحظة التي يتحرر فيها المثقف من تلك الحالة الآسرة الخفية فإنه يتحول على الفور إلى قوة جبارة، وشيئا آخر لم يكن معهودا عليه من قبل. *(98)*.

الهوامش:

الجزء الأول:

١.د. كاظم شبيب، المسالة الطائفية، تعدد الهويات في الدولة الواحدة، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١١م. ص١٥، ١٦.
٢.المرجع نفسه. ص١٥.
٣.المرجع نفسه. ص١١١
٤. مجموعة مؤلفين، تحرير وتقديم: عبد الإله بلقزيز، الطائفية والتسامح والعدالة الانتقالية من الفتنة إلى دولة القانون، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م. ص٩، ١٠.
٥.المرجع نفسه. ص١٠
٦.المرجع نفسه. ص٧٩
٧.المرجع نفسه. ص٥٩، ٦٠.
٨. د. عزمي بشارة، الطائفة والطائفية: من اللفظ ودلالاته المتبدّلة إلى المصطلح السوسيولوجي التحليلي، مجلة عمران، ٢٣/ ٦ شتاء ٢٠١٨م. ص٢٣، ٢٤.
٩. مجموعة مؤلفين، تحرير وتقديم: عبد الإله بلقزيز، الطائفية والتسامح والعدالة الانتقالية من الفتنة إلى دولة القانون. ص٧٩.
١٠.المرجع نفسه. ص٦١.
١١.د. نادر كاظم، طبائع الاستملاك قراءة في أمراض الحالة البحرينية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م. ص٥٣.
١٢.مجموعة من الكتاب، الطائفية، مركز المسبار للدراسات، كتاب شهر ٤، ٢٠٠٧م، ص ٣٣

الهوامش:

الجزء الثاني:

١٣. نصري الصايغ، سيكولوجية الإنسان الطائفي، مجلة الآداب، ٣/ ٤/ ٢٠٠٧م. ص٧٦، ٧٧.

١٤. المرجع نفسه. ص٧٧.

١٥. المرجع نفسه. ص٧١.

١٦. د. نادر كاظم، طبائع الاستملاك قراءة في أمراض الحالة البحرينية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م. ص٧٧، ٧٨.

١٧. نصري الصايغ، سيكولوجية الإنسان الطائفي. ص٧٢.

١٨. المرجع نفسه. ص٧٤، ٧٥

١٩. المرجع نفسه. ص٧٤.

٢٠. مجموعة مؤلفين، تحرير وتقديم: عبد الإله بلقزيز، الطائفية والتسامح والعدالة الانتقالية من الفتنة إلى دولة القانون. ص١٥، ١٦.

٢١. المرجع نفسه. ص١٦.

٢٢. د. كاظم شبيب، المسالة الطائفية، تعدد الهويات في الدولة الواحدة، ص٢٨، ٢٩.

٢٣. المرجع نفسه. ص٩٧.

٢٤. جهاد فاضل، الإسلام لا المذهبية، موقع العربية نت، آراء، الثلاثاء، ١٥ ربيع الأول ١٤٢٨ هـ.٣ أبريل ٢٠٠٧م، نقلا عن جريدة الرياض السعودية.

٢٥. د. كاظم شبيب، المسالة الطائفية، تعدد الهويات في الدولة الواحدة. ص١٦٦، ١٦٧.

٢٦. د. عبد الحميد أحمد أبو سليمان، العنف وإدارة الصراع السياسي في الفكر الإسلامي بين المبدأ والخيار (رؤية إسلامية)، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع الترجمة، القاهرة. مصر، ط١، ٢٠٠٢م. ص٦١.

الهوامش:

الجزء الثالث:

٢٧.د. كاظم شبيب، المسالة الطائفية، تعدد الهويات في الدولة الواحدة. ص١٢٧.

٢٨. مجموعة مؤلفين، تحرير وتقديم: عبد الإله بلقزيز، الطائفية والتسامح والعدالة الانتقالية من الفتنة إلى دولة القانون. ص٨١.

٢٩.أنور فؤاد أبي خزام، الدين والجمال، مبحث فلسفي في إلغاء الطائفية السياسية، دار الفارابي، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٥م. ص ٥٢.

٣٠. د. عزمي بشارة، الطائفة والطائفية: من اللفظ ودلالاته المتبدّلة إلى المصطلح السوسيولوجي التحليلي. ص٩.

٣١.د. علي الوردي، وعَّاظ السلاطين، رأي صريح في تاريخ الفكر الإسلامي في ضوء المنطق الحديث، دار كوفان، لندن، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م. ص٢٦٠.

٣٢. مجموعة مؤلفين، تحرير وتقديم: عبد الإله بلقزيز، الطائفية والتسامح والعدالة الانتقالية من الفتنة إلى دولة القانون. ص٨٢.

٣٣.د. كاظم شبيب، المسالة الطائفية، تعدد الهويات في الدولة الواحدة. ص١٠٧.

٣٤.د. محمد بن المختار الشنقيطي، أنصفوا الأكثريات المسلمة، أوراق الربيع (٣٤)، مدونات الجزيرة، ٢٠ / ٣ / ٢٠١٨م.

٣٥. د. ياسر الغرباوي، الهروب من الحرب الأهلية ـ مصر نموذجا، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، ط١، ٢٠١٥م. ص١١.

٣٦.د. عبد الكريم بكار، هي هكذا... كيف نفهم الأشياء من حولنا، الجزء الثاني، دار السلام للطباعة والنشر، مصر، ط١، ٢٠١٢م. ص١١.

٣٧.د. كاظم شبيب، المسالة الطائفية، تعدد الهويات في الدولة الواحدة. ص٣٥٢.

٣٨.د. سيف الدين عبد الفتاح، مقدمات أساسية حول التحيز في التحليل السياسي منظور معرفي وتطبيقي، إشكالية التحيز، رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد، د. عبد الوهاب المسيري (تحرير)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا ـ الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨م. ص٢٩٨.

٣٩.أنور فؤاد أبي خزام، الدين والجمال، مبحث فلسفي في إلغاء الطائفية السياسية. ص٣٧

بتصرف.
٤٠. د. برهان غليون، اغتيال العقل، محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء. المغرب، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٦م. ص٧٤.
٤١. أمين معلوف، الهويات القاتلة، قراءات في الانتماء والعولمة، ترجمة: د. نبيل محسن، ورد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق. سورية، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م. ص ٥٠.
٤٢. المرجع نفسه. ص٤١.
٤٣. د. كاظم شبيب، المسالة الطائفية، تعدد الهويات في الدولة الواحدة. ص١٣٣.
٤٤. المرجع نفسه. ص١٤٣.١٤٦.
٤٥. د. برهان غليون، المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات، سينا للنشر، ١٩٨٨م. ص١١٤، ١١٥.
٤٦. المرجع نفسه. ص٧٦.
٤٧. سليم الحص، نحن والطائفية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط١، ٢٠٠٣م، ص ١٥.
٤٨. د. محمد المختار الشنقيطي، الأزمة الدستورية في الحضارة الإسلامية من الفتنة الكبرى إلى الربيع العربي، منتدى العلاقات العربية والدولية، الدوحة . قطر، ط١، ٢٠١٨م. ص ٥١٤، ٥١٥.
٤٩. د. كاظم شبيب، المسالة الطائفية، تعدد الهويات في الدولة الواحدة. ص٨٦، ٨٧.
٥٠. جون لوك، رسالة في التسامح، ترجمة: منى أبو سنة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٣٤
٥١. د. جاسم سلطان، أنا والقرآن (سورة آل عمران)، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م. ص١٢٦.
٥٢. د. زكي نجيب محمود، قصاصات الزجاج، دار الشروق، القاهرة. مصر، الطبعة الأولى، ١٩٧٤م. ص٢٣٣.
٥٣. الشيخ محمد الغزالي، دستور الوحدة بين المسلمين، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢، ١٩٨٩م. ص٩٣.
٥٤. د. علي الوردي، مهزلة العقل البشري، محاولة جديدة في نقد المنطق القديم لا تخلو من

سفسطة، دار كونان - لندن، ط٢، ١٩٩٤م. ص١٣٤.
٥٥. ياسر حارب، اخلع حذاءك، الناشر: مدارك للنشر والترجمة والتعريب، بيروت. لبنان، الطبعة التاسعة، ٢٠١٥م. ص١٣٢، ١٣٣.
٥٦. د. عبد الكريم بكار، فصول في التفكير الموضوعي، منطلقات ومواقف، دار القلم، دمشق، ط٣، ٢٠٠٠م. ص١٨٦.
٥٧. د. عبد الكريم بكار، من أجل الدين والملة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، القاهرة، ط ١، ٢٠١٠م. ص١٤٢.

الهوامش:

الجزء الرابع:

٥٨. د. نوَّار بن الشلي، فقه التوسط مقاربة لتقعيد وضبط الوسطية، كتاب الأمة رقم (١٢٩)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة. قطر، ط١، ٢٠٠٩م. ص٢٠٦

٥٩. د. عبد الكريم بكار، وجهتي في الحياة، رؤى وأفكار ومنهجيات آمنت بها، مركز الراية للتنمية الفكرية، جدة، السعودية، ط١، ٢٠٠٧م. ص١٠

٦٠.أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، احياء علوم الدين، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت .لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.١٩٨٦م. ص٤١.

٦١.د. عبد الكريم بكار، حول التربية والتعليم، دار القلم، دمشق، ط١، ٢٠٠١م. ص٢٥٢.

٦٢. د. عبد الكريم بكار، فصول في التفكير الموضوعي، منطلقات ومواقف، دار القلم، دمشق، ط٣، ٢٠٠٠م. ص١٨٧.

٦٣. د. عبد الكريم بكار، تأسيس عقلية الطفل، مركز الراية للتنمية الفكرية، جدة، السعودية، ط١، ٢٠٠٧م. ص١٩١.

٦٤.د. علي الوردي، مهزلة العقل البشري، محاولة جديدة في نقد المنطق القديم لا تخلو من سفسطة، دار كونان - لندن، ط٢، ١٩٩٤م. ص٤٨

٦٥.د. خالد محمد خالد، الوصايا العشر، دار المقطم، مصر، ط٧، ٢٠٠٣م. ص٢٢.

٦٦.د. سلمان فهد العودة، شكرا أيها الأعداء، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ.٢٠١١م. ص ١٩٢.

٦٧.د. محمد باباعمي، مقاربة في فهم البحث العلمي، دار وحي القلم، دمشق. سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.٢٠١٤م. ص٢٥.

٦٨. مجموعة مؤلفين، تحرير وتقديم: عبد الإله بلقزيز، الطائفية والتسامح والعدالة الانتقالية من الفتنة إلى دولة القانون. ١٠٠.

٦٩.ياسر الغرباوي، الهروب من الحرب الأهلية. مصر نموذجا. ص١٠٢.

٧٠.الشيخ محمد الغزالي، دستور الوحدة بين المسلمين. ص١١٦.

٧١.أمين معلوف، الهويات القاتلة، قراءات في الانتماء والعولمة. ص٤٢.

٧٢.د. جعفر شيخ إدريس، صراع الحضارات بين عولمة غربية وبعث إسلامي، مجلة البيان،

٧٣. الشيخ علي الطنطاوي، ذكريات، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة . السعودية، ط٣، ٢٠٠١م، ج٢. ص٢١٣.
٧٤. د. فؤاد زكريا، التفكير العلمي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد ٣، مارس ١٩٧٨م. ص٧٩.
٧٥. د. عبد الكريم بكار، فصول في التفكير الموضوعي، منطلقات ومواقف، دار القلم، دمشق، ط٣، ٢٠٠٠م. ص١٩٨.
٧٦. د. فؤاد زكريا، التفكير العلمي. ص٧٩، ٨٠.
٧٧. المرجع نفسه. ٨٠، ٨١.
٧٨. د. ماجد عرسان الكيلاني، التربية والتجديد وتنمية الفاعلية عند العربي المعاصر (بحث في الأصول السياسية للتربية والتعليم في الأقطار العربية)، دار القلم، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ٢٠٠٥م. ص١٦٥.
٧٩. سلمان فهد العودة، كيف نختلف، مؤسسة الإسلام اليوم الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٣ هـ.٢٠١٢م. ص١٢٣.
٨٠. المرجع نفسه. ص٨٣.
٨١. د. عبد الكريم بكار، عصرنا والعيش في زمانه الصعب، دار القلم، دمشق، ط١، ٢٠٠٠ م. ص١٦١
٨٢. د. عبد السلام مقبل المجيدي، لا إنكار في مسائل الخلاف، كتاب الأمة رقم (٩٤)، الدوحة.قطر، مايو ٢٠٠٣م. ص١٧، ١٨ من مقدمة عمر عبيد حسنة.
٨٣. د. محمد كمال الدين إمام، التعصب المذهبي - قراءة معرفية، مجلة المسلم المعاصر، العدد ١٢٣، بيروت - لبنان، ٢٠٠٧م. ص١٥٠.
٨٤. ياسر الغرباوي، الهروب من الحرب الأهلية . مصر نموذجا. ص٢٣٣

الهوامش:

الجزء الخامس:

٨٨. د. محمد كمال الدين إمام، التعصب المذهبي - قراءة معرفية، مجلة المسلم المعاصر، العدد ١٢٣، بيروت - لبنان، ٢٠٠٧م. ص١٣٥.

٨٩. د. يحي رضا جاد، الردة وحرية الاعتقاد: رؤية إسلامية، مجلة المسلم المعاصر، العدد ١٤٣، بيروت - لبنان، ٢٠١٢م. ص١٣٤.

٩٠. أ. د. سعيد إسماعيل علي، نظرات في التربية الإسلامية، مكتبة وهبه، القاهرة. مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩م. ص١٥٩.

٩١. د. خالد محمد خالد، الوصايا العشر، دار المقطم، مصر، ط٧، ٢٠٠٣م. ص١٥٠.

٩٢. د. عبد السلام مقبل المجيدي، لا إنكار في مسائل الخلاف. ص٥٨

٩٣. د. كاظم شبيب، المسالة الطائفية، تعدد الهويات في الدولة الواحدة. ص٢٨٧.

٩٤. مجموعة مؤلفين، تحرير وتقديم: عبد الإله بلقزيز، الطائفية والتسامح والعدالة الانتقالية من الفتنة إلى دولة القانون. ص٧٥.

٩٥. ٧١. أمين معلوف، الهويات القاتلة، قراءات في الانتماء والعولمة. ص٥٢.

٩٦. عبد السلام بنعيد العالي، التسامح والحرية، مجلة يتفكرون، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، المغرب، العدد الأول، ربيع ٢٠١٣م. ص٧.

٩٧. د. رفيق حبيب، العلوم الإنسانية بين التحديث والتغريب: نموذج علم النفس، إشكالية التحيز، رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد، د. عبد الوهاب المسيري (تحرير)، الجزء الأول، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا. الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨م. ص ٤٩، ٥٠.

٩٨. المهندس أحمد قائد الأسودي، الحالة الصنمية المدمرة (السقوط المدوي للأفراد للجماعات للأمم للحكام)، مركز عبادي. صنعاء، ط١، ١٩٩٩م. ص٣٤، ٣٥.

حكمة يمانية

موقعٌ ثقافي يُعنى بقضايا الفِكْر والآداب والفنون، وعوالم المعرفة، والعلوم الإنسانية، وتواصل الثَّقافات والحضارات، ويسعى إلى تنميةِ الوعي بالذَّات، وعلاقتها بالآخر، وينشدُ الإسهام في مدِّ الجسور، ومعالجة الظَّواهر الثَّقافية بروحٍ نقدية، وتعزيز المشتركات، وتوسيع الأنظار، واستعادة الدور والفاعلية والحضور، عبر خطابٍ معرفيٍّ وطني إنساني، يساعدُ في إصلاحِ العقل الثَّقافي والارتقاء بمداركه، متجاوزًا للعصبياتِ والهُويّات الضَّيقة، منفتحًا على فضاءاتِ الرُّوح والعقل وعلى كلِّ ما هو جوهريٍّ ونبيل.

حكمة يمانية

HEKMAH YEMANYA

حكمة يمانية نحو وعي رشيد

حكمة يمانية @HekmahYemany hekmahyemanya.com